علّمتني

سُورتا الإخلاصِ والمُعوِّذتان

الطبعة الأولى

كل الحقوق محفوظة

رجب ١٤٣٩هـ - مارس - آذار ٢٠١٨مـ.

يوزع مجاناً عن روح المرحومين بإذن الله

أ. محمد مدحت كبارة
د. محمود ابراهيم خليل
السيدة يسرى داود

وصدقة جارية عن أرواح أموات جميع المسلمين والمسلمات

لبنان - طرابلس

www.3alamatnisurah.com
www.3alamatnisourat.com

علّمتني

سُورتا الإخلاصِ والمُعوِّذتان

جمع وإعداد
م. عامر كبّارة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى كلِّ مسلم ومسلمة.

وإلى الذين يريدون أن يفهموا لماذا أوصانا الرسول الكريم ﷺ بقراءة سورة الإخلاص (سور التوحيد) والمعوذات في كل يوم وليلة وكذلك بعد الانتهاء من الصلوات الخمس..

كما أهديه إلى الوالدة الكريمة حفظها الله، والوالد الكريم غفر الله له، وللزوجة الحبيبة، ولبقية العائلة والأصدقاء الأجلَّاء، مع الشكر والتقدير الخاص للأخ الصديق الأستاذ محمد عماد قلب اللوز، الذي قام بجهد مشكور في تدقيق هذا الكتاب ومراجعته.

وأرجو الله العزيز الحكيم أن ينفعنا بما نقرأ، ويهدينا إلى سواء السبيل، إنه سميع مجيب، وأسأل الله التوفيق والقبول،
والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتَم المرسَلين سيِّدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فنحن نعلم يقينًا أن الله سبحانه وتعالى خلقَنا في هذا الكون لعبادته؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (سورة الذاريات/ ٥٦)، أي للعبادة، وكلُّنا عبدٌ لله، ويجبُ أن نعرفَ كيف نعبُدُه سبحانه...

قال سيدنا محمد ﷺ: «إنَّ أوَّلَ ما يُحاسَب به العبدُ يومَ القيامةِ من عمله صَلاتُهُ، فإنْ صَلَحَتْ فقد أَفْلَحَ ونجحَ، وإنْ فسَدتْ فقد خاب وخَسِر». رواه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة. ولا تسقط «**الصلاةُ**» عن أيِّ مسلمٍ بالِغٍ عاقلٍ – رجُلًا كان أو امرأة – (تسقط الصلاة عن المرأة في حالة الحيض والنفاس فقط)، والصلاةُ هي عبادةٌ لله، ووسيلةُ مُناجاةِ العبدِ لربِّهِ، وهي صِلةٌ بين العبد وربه سبحانه وتعالى، وهي الرُّكنُ الثاني من أركان الإسلام. وقد فُرِضت الصلاةُ في مكة المكرمة قبلَ رحلة سيدِنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم في الإسراء والمعراج، ولكنَّها لمْ تكن كالصلواتِ الخمسِ التي عُرفت بعد تلك الرحلة، والتي نقوم بها حتى يومنا هذا...

لقد كانت الصلاةُ وصيةَ الرسول ﷺ لأمَّته قبل وفاته، فقد ورد في الحديث الشريف عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول في مرضه الذي تُوفِّي فيه: «الصلاةَ الصلاةَ وما ملكَتْ أيمانُكُم»، فما زال يقولها حتى ما يَفِيضُ [أي: لا يقدِرُ على الإفصاح] بها لسانُهُ.

رواه ابن ماجه.

و«الصلاة» في معناها اللُّغوي هي: الدعاء، وفي معناها الاصطلاحي: التوجُّهُ إلى الله وعبادتُه بالكيفية المعروفة.

ولا تصِحُّ الصلاةُ إلا بفاتحة الكتاب ومعها ما تيسَّر من آيات أخرى من القرآن الكريم - في الركعتين الأُولَيَينِ -؛ فكان لِزامًا علينا أن نعرف معاني وتفاسير سُوَرِ القرآن الكريم بصورة مبسّطة (وإنما سعينا للتبسيط حتى تصل تلك المعاني إلى أكبر شريحة ممكنة من المجتمع المسلم)، وبخاصةٍ «قصارَ السُّوَر»؛ وذلك لنستطيع تدبُّرها بسهولة والتأمُّل في معانيها.

هذا، ومِن روائع هذه السوَر القصيرةِ أنها كلَّها «مُحْكَمَةٌ»، أي: ظاهرةٌ لا اشْتِباهَ فيها، ولا تحتاج إلى تأويل، كما أنه من السهل حفظُها، ومن السهولة بمكانٍ أنْ ندرك ونفهم معانيها، ونضعَ أيدينا على دقائقها، وأن نسترجعَ هذه الدقائق كلما تُلِيَت علينا أو قرأناها في أيِّ وقت أو مناسبة. وإذا تمَّ ذلك فإن هذه المعاني حين تَرِدُ على أذهان المسلمين أثناء قراءتهم لهذه السوَرِ في صلواتهم أو في دعائهم فإنها تساعدهم كثيرًا على الخشوع، وتُجدِّد العهدَ مع الله عز وجل، كما أنها تزيد المؤمنَ إيمانًا، وتُنبِّه اللاهيَ وتساعده على الثبات في حياته وفي مُمارساته اليومية على تعاليم الله سبحانه وتوجيهات رسوله الكريم ﷺ.

إن كلَّ آياتِ وسورِ القرآنِ الكريم هي «مقدَّسة، ولها فضائل عظيمة»، ولكنْ هناك بعضُ السورِ والآيات قد وردتْ فيها - بعينها - بعضُ الفضائل كما بيَّنها الرسولُ الأعظم صلوات الله وسلامه عليه، ومن ذلك:

١- فاتحة الكتاب.

٢- سورة الإخلاص.

٣- المُعوِّذتان.

٤- آية الكرسيِّ.

٥- سورة الكافرون.

٦- سورة الملك.

٧- سورة الرحمن.

بالإضافة إلى غيرها من السور والآيات التي وردَتْ فيها فضائل خاصة.

ومن السوَر والآيات ما ورد في تسميتها وفضلها آثارٌ عن الصحابة رضوان الله عنهم، أو عن العلماء من سَلَفِ هذه الأمة، - وهذه التسميات لم تذكر في الأحاديث الشريفة - كتَسْمية بعضِ السوَرِ بـ «السَّبْع المُنْجِيات»، أو غيرها من التسميات والفضائل وأسباب النزول مما ذُكر في الكتب الإسلامية، ولكن في كل الأحوال فإن فضلَ قراءةِ جميعِ السور كبيرٌ، وتِلاوتَها وفهمَها وتدبُّرَها حاجةٌ لكلِّ مسلمٍ.

ومـن الجَديـرِ بالذِّكر أن هناك خمسَ سـورٍ في القـرآن الكريم بُدِئَتْ بكلمـة «قـل»، وهـو توجيهٌ مـن الله تعـالى، أي: «قل يا محمـد» لأتباعك من المسـلمين، وأهلِ الكتاب، وللمشركين، وسـائر الخلق أجمعين. وتلك السور هي:

١- سورة الجن.

٢- سورة الكافرون.

٣- سورة الإخلاص.

٤- سورة الفلق.

٥- سورة الناس.

بالإضافة إلى آياتٍ أُخرى في سـورٍ عديدة ذُكـرت فيها كلمة «قل»، وفي بعض الأحيان كانت تبدأ بـ «يسـألونك»، فيأتي بعدها الوحي توجيهًا من الله تعالى سبحانه أنْ يا محمدُ «قل».

وبـما أن لبعض السـور القِصار ميزاتٍ خاصـةً - كما ذكرْنا سـابقًا - فقد رأينا أن نشرح في هذا الكتاب تلكَ السـورَ التي تبدأ بـ «قل» (عدا سـورةَ الجنِّ؛ وذلك لطولها، وسـنبيّنها في كتاب منفصل في المستقبل إن شاء الله)، والتي هي من أشـهرِ وأيسرِ السور حِفظًا، ومن أكثرِها تداوُلًا بين الناس، وخاصةً في صلواتهم وأذكارهـم ودعائهم، وكذلك في مقاماتٍ أُخرى في سائر حياتهم، وهذه السور هي:

أ – سُـورتَا «الكافرون» و«الإخلاص»، وبالمناسـبة فإن سورة «قل يا أيها الكافرون» تسـمى أيضًا بسـورة الإخـلاص (الثانية)؛ لأنها – والله أعلـم – تُقرِّر توحيدًا عمليًّـا إراديًّا، أي: في القصد والإرادة، بينما سـورة الإخـلاص (الأولى) وهي «قل هـو الله أحد» تُقرِّر وتمثِّـل توحيدَ المعرفةِ (العلـم) والإثبـات، أي: هـي توحيـدٌ علمـيٌّ اعتقاديٌّ، وفي السـورتين الكريمتين إقرارٌ لله تعالى بالعبادة، وإخلاصُ الدِّينِ لهُ وَحدَهُ لا شريكَ له.

وقد ثبتَ في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ في ركعتَي الفجـرِ تارةً بسـورتَيِ الإخـلاص والكافـرون، وتارةً بسـورٍ أُخرى، وكان ربَّما قرأ أيضًا سـورةَ «قل هو الله أحد» في صلاة الفجر، وسـورة «قل يا أيها الكافرون» في صلاة المغرب؛ وبذلك يكون قد استفتَحَ نهارَهُ ولَيلَهُ بالتوحيد.

ب – سُورتَا «الفلق» و«الناس»، وتُسمَّيان بالمعوذتين، وسيأتي سبب تسـميتهما بذلك، كما كان الرسـول صلى الله عليه وسلم نفسُه يستعيذ بالله من شرور خَلْقِهِ – إنسٍ وجِنٍّ وغيرِهما من المخلوقات – بقراءتهما، وكذلك كان يُحصِّنُ بهما – سيدينا الحسن والحسين رضي الله عنهما –.

إن قراءة هذه السـور باسـتمرار تسـاعد عـلى متابعة وتطبيق سُـنَّةٍ نبويَّةٍ – وما أكثر السُّـنن التي هجرناها –؛ فقد أوصى الرسولُ الكريمُ ﷺ بقراءتها لنذكِّرَ أنفسَنَا بتوحيدِ اللهِ عز وجل، ولتحصينِ أنفسِنا وأولادِنا من شُرور كلِّ ذي شرٍّ.

ولهذا، واسـتكمالًا لما بدأناه في سلسـلة كُتُب «علمتنـي...»، (وهي مجموعةُ بُحوثٍ في تفسـيراتٍ واجتهاداتٍ وإرشاداتٍ لما تعنيه سُوَرٌ مُختارةٌ

من سور القرآن الكريم) - فقد قُمْنا في هذا الكتابِ بتسليطِ الضوءِ وإظهارِ وتقديم شرحٍ للمعاني بطريقةٍ مُيسَّرةٍ وسهلةٍ ومُبسَّطةٍ لهذه السور الأربع الكريمة، مُقْتبَسةٍ ـ بتصرّف بسيط ـ من بعضِ العلماء الأفاضل المُعاصِرين الثقات؛ لما في شروحهم من سهولةٍ تساعد على تبسيطِ وتقريب المعاني للأذهان بصورةٍ أكثرَ واقعيةً.

وما نقدِّمه في هذا البحث هو اجتهادٌ، لا يُقلِّل على الإطلاق من قيمة ما كتبه عنها السلفُ والمُعاصِرون الآخرون، بل هي كلُّها كتبٌ وشروحات جليلةٌ، ولكنْ وجب علينا المساهمةُ في تقديم شيء مختلِفٍ - نوعًا ما - ليكونَ سهلاً مُوجَّهًا للعامَّة، وللشباب بصورةٍ خاصة.

ونرجوا من الله عز وجل أن يكون هذا الكتابُ - ومجموعته من سلسلة «علمتني...» - قد أسهم وساعد في فهم هذه السور وغيرها مما ورد في هذه السلسلة، ويَسَّر استحضارَ الخشوع أثناء القراءة لهذه السور في أي وقت ومكان ولأيِّ سبب من الأسباب، كما نرجو أن تكون هذه السلسلة قد حازت على القبول، وساعدت على تثبيت الإيمان والقيام بالعمل الصالح بموجب الأخلاق التي أمر بها الإسلامُ بغرض تزكية وتحصين النفس والعائلة؛ وكذلك لتنمية المجتمع، وإعمار الأوطان، وتكوين الأمة كما أراد الله عز وجل لنا، وكما وجَّه إليه رسولُه الكريم ﷺ.

وقد دقَّقَ وراجعَ هذا الكتابَ -وكلَّ سلسلةِ «علمتني...»- الأستاذ محمد عماد قلب اللوز -حفظه الله- الأستاذ في اللغة العربية والشريعة الإسلامية.

هذا وقد قُمْنا بتقسيم الكتاب على أربعة فصول كما يلي:

١- الفصل الأول: سورة الكافرون.

٢- الفصل الثاني: سورة الإخلاص.

٣- الفصل الثالث: سورة الفلق.

٤- الفصل الرابع: سورة الناس.

وقد تمَّ في كلِّ فصل بيانُ أسبابِ النزولِ، وسببِ التسميةِ، والفضائلِ التي وردتْ عن السورة، وكذلك شرحِ معاني الكلمات، والهِداياتِ المُستنبَطةِ من آياتها، مع إضافة شرحٍ موضوعي إجماليٍّ، وشرحٍ مُفصَّلٍ لَمن أحبَّ أن يستزيد، وقد تمَّ أخذُ هذه الشروحات (بتصرف بسيط) عن العلماء الأفاضل المذكورين في صفحة المراجع من هذا الكتاب.

إن هذا العملَ مُوجَّهٌ بالمقام الأولِ إلى نفسي، ومن ثَمَّ إلى أهلي وأحبَّائي وأصدقائي وسائر المسلمين من الشباب والعامة - من غير المُتخصِّصين - مع العلم أننا كلَّنا بحاجة إلى تذكير، جميعُنا ينبغي أن يقرأ، والقراءة والاطِّلاعُ لا يحتاجانِ مِنَّا سوى بعضِ الهمةِ والإرادة لتخصيص بعض الوقت -وهو ليس بالكثير- بِغَرَضِ الفهمِ والعمل، ثم التوجُّهِ بقلبٍ صادقٍ وبعزيمة وإخلاص إلى الله عز وجل؛ فهو المُيسِّرُ والمُعينُ على ذلك، وهو نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصيرُ.

واللهُ مِن وراءِ القَصْدِ، وهو وليُّ التوفيق.

الفصل الأول

سورة الكافرون

سورة الكافرون

وهي سورة «مكيَّةٌ»، وآياتُها ستٌّ، وترتيبها السورة رقم (١٠٩) التاسعة بعد المئة، وموقعها في الجزء الثلاثين من المصحف الشريف.

سبب نزولها:

ورد أنها نزلت ردًّا على اقتراحٍ تقدَّم به بعضُ المشركين، وهم: الوليد بن المُغيرة، والعاصي بن وائل السهمي، والأسود بن عبد المطلب، وأميَّة بن خلف، مُفادُه أنهم جاؤوا النبيَّ عليه الصلاة و السلام وقالوا له: يا محمد، هلُمَّ نعبد ما تعبد، و تعبد ما نعبد؛ حلٌّ وسط، ونشترك نحن وأنت في أمرِنا كلِّه، فإن كان الذي جئتَ به خيرًا مما في أيدينا شَرَكْناكَ فيه، وأخذنا بحظِّنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيرًا مما بيدك كنتَ قد شاركتَنا في أمرنا، وأخذتَ بحظِّك منه، ولم يُجِبْهم الرسولُ ﷺ بشيء حتى نزلت هذه السورة، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾، فقام رسولُ الله ﷺ إلى الكعبة، وفيها المَلَأُ (الزعماء) من قريش، فقام على رؤوسهم، ثم قرأ عليهم هذه السورةَ، فيَئِسوا منه، وصاروا يؤذونه ويؤذون أصحابَه، واستمرَّ أذاهُم حتى كانت هجرتُهُ إلى المدينة المنورة.

تسميتها:

وهي تُسمَّى أيضًا سورة «قل يا أيها الكافرون»، وقد سمَّاها بعضُ العلماءِ سورةَ «الإخلاص» الثانية؛ لأنَّ فيها التوحيدَ العمليَّ الإراديَّ، بينما

سـورةُ الإخلاص الأولى «قل هو الله أحد» فيها التوحيـدُ القَولِيُّ. وهاتان السورتان تُمثِّلان الإخلاصَ لله المعبودِ الواحدِ الصمدِ.

وقد سـمَّاها بعـضُ العلماء بـ «المُقَشْقِشَـة»، أي: المُبرِّئـة من الشرك والنفاق، وكذلك سـميت سورةَ «العبادة»، وتسمى أيضًا سورة «الدين»، وقال آخرون: سـورة «الحمد»؛ لأن حقيقة الكفـر هي الإنكار والعناد... والله أعلم.

فضلها:

* عن فروة بن نوفل رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسـول الله، علِّمني شـيئًا أقولُه إذا أَوَيتُ إلى فراشي، فقال: «اِقرَأ قُلْ يا أيُّها الكافرون؛ فإنَّها براءةٌ من الشرك». رواه الترمذي.

* قال رسول الله ﷺ: «قلْ يا أيُّها الكافرونَ تَعْدِلُ رُبُعَ القرآنِ». أي: في الثـواب، كـما ورد في حديث الترمذي. وصحَّ عـن النبيِّ صلى الله عليه وسـلم أنه كان يقرؤها في صلاة «الشـفع» في الركعة الثانية، وكان يقرأ في الركعة الأولى سـورة «الأعلى». كما صحَّ أنه كان يقرأ بها وبسـورة «قل هو الله أحد» في ركعتَيِ الطوافِ – في المسجد الحرام بمكة المكرمة ـ وقد صلَّى بِهِما أيضًا في أوقات مختلفة.

محور السورة:

يـدور محورُ سـورةِ الكافـرون حول التوحيـد والـبراءة من الشرك والضـلال؛ لأن التوحيـد منهـجٌ، والـشركَ منهـجٌ آخـرُ مُختلِـفٌ تمامًـا، ولا يلتقيان.

فالتوحيـدُ منهجٌ يتَّجِه الإنسـانُ به إلى الله وحـدَه إلهًا وربًّا لا شريك له، ويحدِّدُ للإنسـان عقيدتَـهُ وشريعتَهُ وآدابـه وأخلاقَـه وتصوُّراتِه كلَّها عـن الحيـاة وعن الوجود، غيرَ مُتلبِّسـةٍ بالشرك في أيَّةِ صـورةٍ من صُوَرِهِ، وبغير ذلك سـيبقى التشـويشُ في الأذهان، والمُداهَنَةُ لأفكارِ وتوجيهاتِ المشركـين، وسـيبقى اللَّبْـسُ والترقيـع، والإسـلامُ لا يقـوم عـلى هـذه الأمور الضعيفة.

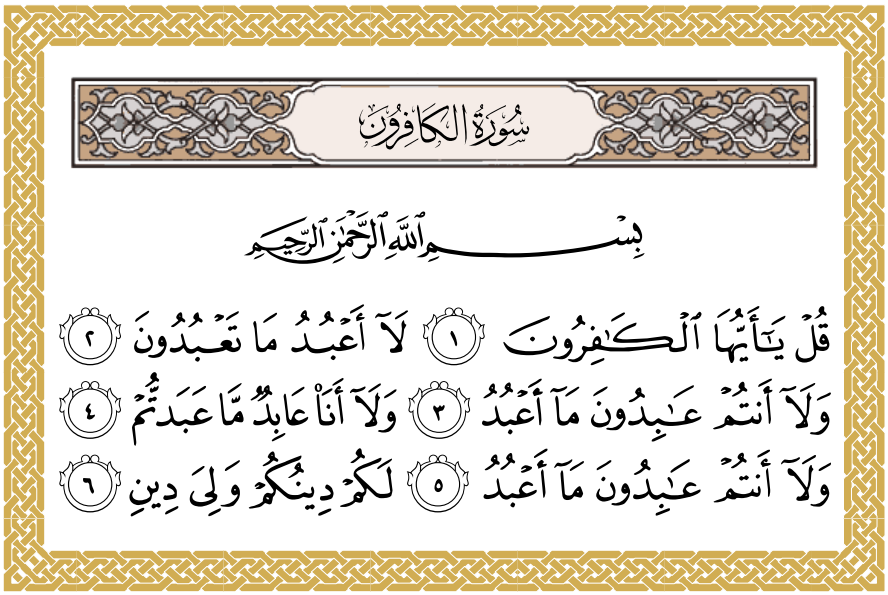

معاني الكلمات:

١ – قُلْ: أي: قُلْ يا محمد ﷺ..

١ – الْكَافِرُونَ: المشركون في عبادة الله أصنامًا وأوثانًا، والجاحدون للوحي الإلهي (والملحدون).

٢ – لَا أَعْبُدُ: أي: لا أخضع؛ وذلك لشدة حُبِّي لله، والتزامي بشرائعه وفرائضه، وانقيادي له.

٢ – تَعْبُدُونَ: من الآلهة الباطلة التي تعبدونها..

٣ – وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ: وأنتم لن تعبُدوا إلهي، وهو الله وحده سبحانه..

٤ – وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ: أي: إنني (سيِّدُنا محمدٌ ﷺ، والمسلمون من بعده) لن أعبد – في المستقبل – آلهتكم أنتم أيها الكفار والملحدون.

٥ – وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ: أي: وأنتم كذلك – في المستقبل – لن تعبدوا ما أعبدُ؛ لِعلم الله تعالى بذلك، ولن تتركوا عبادة آلهتكم أبدًا حتى تهلِكوا، والتكرار لبيان الحاضِر والمستقبل.

٦ – لَكُمْ دِينُكُمْ: لكم شِركُكُم وكُفركُم وما أنتم عليه من الوثنية.

٦ – وَلِيَ دِينِ: وهو الإسلام والتوحيد، ولن أتركه أبدًا، (وكذلك المسلمون من بعدِه).

من هداية الآيات

الآية: ١-٢- إثبات حقيقة وجودِ أديانٍ مختلِفة، وذلك مستمِرٌّ حتى قيام الساعة.

الآية: ١-٢- تقرير عقيدة القضاء والقدَر، وأنَّ الكافرَ مَن كفر أزلًا، والمؤمنَ مَن آمن أزلًا، وكلُّ ذلك بعلم الله (ولا يتناقض ذلك مع ضرورة سعي الإنسان دائماً لمعرفة الإله الخالق الواحد والإيمان به وطاعته، وكذلك مع اختبارات الله للإنسان في حياته الدنيا، لينال جائزته الكبرى في الآخرة، فالإنسان مسؤول عن إيمانه وعمله، وكلّ ذلك بعلم ومشيئة وإرادة الله عز وجل)، ولا يتناقض ذلك مع قضاء الله وقدره إطلاقاً.

الآية: ١-٦- يجب تجنُّبُ الجِدال العقيم الذي لا طائلَ منه.

الآية: ١-٦ إقرار استعمال طريقة المفاضلة - في الدعوة - بين أهل الإيمان وأهل الكفر والشرك. (وهي عمليةُ تفكيرٍ يُوازَنُ فيها بين أمرين بقصد اختيار أحدهما).

الآية: ٢- تقرير وِلايةِ الله تعالى لرسوله ﷺ، وعِصْمتِهِ له عن قَبول اقتراحِ المشركين الباطل، وهي ولاية لكافة المسلمين من بعده صلى الله عليه وسلم.

الآية: ٢-٣-٤-٥-٦ لا تجوزُ مُسايَرَةُ الكافرين في مقاصدهم، بل ينبغي دعوتُهُم للهدى بأسلوب لطيف حسن.

الآية: ٢-٣-٤-٥-٦- ضرورة التبرُّؤِ من جميع عقائد وأديان الكافرين والملحدين والمشركين.

الآية: ٦- جوازُ حُسْنِ الجوار والمعاملةِ الحسنة لمن كانوا على غير دين الإسلام، فما بالُكَ بالمسلمين فيما بينهم؟! هم أولى بحسن المعاملة والدعوةِ والنقاش الهادئ والاجتماع على الثوابت وترك الخلافات جانبًا درءًا للفتن (حتى لو اختلفت مذاهبهم).

الآية: ٦- لا إكراهَ لأحدٍ لاتِّباعِ أيِّ دِين، (حتى على دِين الإسلام).

التفسير الموضوعي لسورة الكافرون [1]

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

هذا المعنى المُقرَّرُ هنا يُشبهُ ما تقررَ في سورة أُخرى، حيث قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ البقرة/ ١٤٥.

إن توحيدَ العقائِدِ والمذاهِبِ مستحيلٌ، ومن الخيرِ الاعترافُ بتَعدُّدِ المَشارِبِ والنَّزْعاتِ، ومواجهةُ ذلك بالحكمة والوعي، وقد حكى القرآنُ الكريمُ زُبدةَ تاريخِ البَشَرِ في سورة هود، والصِّراعَ الشديدَ بينَ المؤمنين والكفَّارِ على امتداد العُصور، ثم قال للنبي الكريم ﷺ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ هود/ ١١٨-١١٩.

إنَّنا نحنُ المسلمينَ لا نسعى إلى مَحْوِ الأديان المُخالِفة، وقد أجمعَ المُحقِّقون على أن الإسلام لا يقاتِل إلا منعًا للفتنة وردًّا للعُدوان، وكلُّ قتال للإكراه على عقيدةٍ فهو من نزغِ الشياطين وجَبَروتِ السلاطين، ولا نتيجةَ له إلا مزيدًا من الأحقاد؛ ولذلك تكرر في هذه السورة بعد ذلك: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

١- من كتاب (نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم) للشيخ محمد الغزالي - رحمه الله.

إن هـذه السـورةَ مـن أَحْكَمِ ما تُؤَسَّـسُ عليـه العلاقـاتُ الدولية؛ فلْنَعْترِفْ بتعدُّدِ الأديان، ولْنَدْعُ للجدالِ الحَسَـنِ والحـوارِ الهادِئِ أنْ يَمْتَدَّ وتُعقَدَ مجالِسُهُ.

ولكننـي مُضطَـرٌّ هنا لإنكارِ مـا تُكِنُّهُ بعـضُ السُّـلُطاتِ العالمية مِن ضيـقٍ بالإسـلام وضَنٍّ عليه بحقِّ الحيـاة، ولا بدَّ من المصارحـة بأن الدمَ لـن يجِفَّ حتـى تختفي هذه الرغبةُ الشرِّيرةُ، ويَسـترِدَّ الإسـلامُ قُدرتَهُ على إثبـات نفسِـهِ، وحمايةِ شَرائعِـهِ، وضمانِ تطبيقهـا على أتباعه، فهـل يعقِلُ ذلك الاستِعمارِيُّونَ؟

خواطر الدكتور محمد راتب النابلسي
حول سورة الكافرون:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

لأوَّلِ وَهْلةٍ يُظنُّ أن هناكَ تَكرارًا في هذه السورة، والحقيقةُ القاطِعةُ أنه ليسَ في كتابِ الله تكرارٌ؛ بلْ إنَّ كلَّ آيةٍ تعني شيئًا دقيقًا، وتعني بُعْدًا، وتعني نظرًا من زاوية معيَّنة، وإنْ كان هناك كلماتٌ متماثِلةٌ فإنَّ المعانيَ مُتَغايِرةٌ.

أمَّا كلمةُ ﴿قُلْ﴾ التي وردتْ في بعض السُّوَر القصيرة فتدلُّ على أن النبي عليه الصلاة و السلام «مُبَلِّغٌ»، وأن هذا القرآن هو من عند الله، من عند خالق السماوات والأرض، وما دورُ النبي عليه الصلاة و السلام إلا التبليغُ، قال تعالى على لسان الرسول ﷺ: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ يونس/ ١٥، وقال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ الشورى/ ٤٨، هذا الكلام صادرٌ عن خالق السماوات والأرض، ولما قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ أي يا «محمَّد» قل لهم، أي للكافرين.

تقسيم القرآن الكريم للناس:

إن الإنسانَ بالتقسيم القُرآنيِّ الظاهرِ هو: مؤمنٌ و كافرٌ ومُنافِقٌ، والتقسيمات الأُخرى التي ابْتدَعَها البَشَرُ في تقسيمات الأُمم والشعوب إلى مِلَلٍ ونِحَلٍ وأعراقٍ وأجناسٍ ودُولِ شمال ودولِ جنوب... هذه تقسيماتٌ من صُنع البشر، لكن الناسَ في النتيجة رجُلان: رجلٌ عرف اللهَ وأطاعه

-وعبده- فطبَّق مَنهجَه وأحسنَ إلى خلقِهِ فسعِد في الدنيا والآخرة، وهو «المؤمن»، ورجلٌ غفل عن الله فأنكر وجودَه، أو آمن بوجوده وأنكر ألوهيَّتَهُ، أو آمن بألوهيَّته وأنكر أسماءه الحسنى، فتفلَّت عن منهجه وأساء إلى خلقه فشقي في الدنيا والآخرة، وهو «الكافر»، وبين هذين الصنفَين صنفٌ يستفيد من المؤمنين فيتظاهر بسلوك المؤمنين، ولكنه في الحقيقة مع الكفَّار، هؤلاء هم «المنافقون»، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ النساء/ ١٤٥؛ ذلك أنهم استفادوا من ميزات المؤمنين؛ كانوا معهم، واحتمَوا تحتَ ظِلِّهم؛ لأنهم كانوا يحتاجونهم، فتظاهروا بأنهم مؤمنون، وهم في الحقيقة مع الكافرين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ البقرة/ ١٤-١٥.

تجدُ وصفَ هذه الأصناف الثلاثة: المؤمنين والكفَّار والمنافقين في مَطلَع سورة البقرة، فالمنافقون يقترِبون من المؤمنين تارةً إذا كان نفاقُهُم نفاقَ شكٍّ، أو شِركٍ خَفِيٍّ، ويقتربون من الكفار كثيرًا إذا كان نفاقهم لمصلحة راجحة يبحثون عنها (ولذلك فإنهم يُصنفون مع الكافرين).

تعريف الكفر والنفاق:

مَن هو الكافر؟ الكافر: الذي عمِيَ عن الحقيقة، الكافرون لم يعرفوا اللهَ تعالى، ولو عرفوه لما كفروا به، وهناك معنًى آخرُ للكفر، وهو أنهم عرفوا أنَّ لهذا الكونِ خالِقًا، لكنهم أعرضوا عنه، فهذا هو الجهل المطبِق، أو الإعراض عن الله عز وجل.

وأما المنافق فهو من يظهر الإسلام والإيمان قولاً وعملاً (كذباً وخديعة) ويضمر الكفر في قلبه ويكون فيه الكذب والخيانة وإخلاف الوعد وغيرها. قال تعالى: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً﴾ النساء/ ١٣٨.

هذه المصطلحات في القرآن الكريم دقيقة جدًّا. الكفر درجات، هناك الكفر البَوَاحُ، وهناك كفرٌ دون كفرٍ، فمنْ أنكر رحمةَ الله عز وجل - حينما يرى ما يجري من زلازل وبراكين وحروب - فهو كافر برحمة الله، ومن أنكر عَدْلَه فهو كافرٌ بعدله، ومن أنكر ألوهيته فهو كافر بألوهيته، ومن أنكر ربوبيته فهو كافر بربوبيته، بل هذا الذي يُظهر شيئًا و يخفي شيئًا يتوهَّم أن الله لا يراه، فهذا نوع من الكفر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ التوبة/ ٥٣-٥٤، معنى ذلك أنه ينافق؛ عرف أن لهذا الكون خالقًا، ولكنْ لأن هناك أشخاصًا يستطيعون أن يقدِّموا له شيئًا خاصًّا أو يحرموه من شيء عَبَدَهُم (أطاعهم) من دون الله وهو لا يشعُر.

من غفل عن نعم الله فقد وقع في نوع من الكفر، مفهوم الكفر واسعٌ جدًّا؛ من عبد إلهًا غيرَ الله فهو مشرِكٌ، وهذا هو الشرك الجَلِيُّ (الواضح) وهو كافر، ومن آمن بالله ربًّا وإلهًا ولكن اعتمد على جهةٍ ما؛ ظنَّ أنها تُسعِده أو أنها تحميه فقد وقع في شرك خفيٍّ، (أي: دون قصد أو دون علم)، الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

يوسف/ ١٠٦، فالشرك بمعناه الواسع هو الشرك الخفي، و معناه الضيِّقُ هو أن يعبد الإنسانُ صنمًا أو حجرًا من دون الله عز وجل، ومَن أنكر وجودَ الله فهو كافرٌ، كافر بالوجود، ومن أنكر كمالاتِهِ فهو كافر، كافرٌ بكمال الله عز وجل، من أنكر بعض أسمائه فهو كافر، كافر ببعض أسمائه، من ردَّ آيةً و لم يَعْبَأ بها أو رأى أن آيةً من آيات القرآن الكريم غيرُ صالحة للتطبيق في كلِّ زمان ومكان فهذا نوع من الكفر بكلامه عز وجل، أو ببعض كلامه.

قضيَّةُ الكفر والإيمان قضيَّةٌ خطيرة جدًّا في حياة الإنسان، بل إن هذه المصطلحاتِ الدقيقةَ التي وردتْ في القرآن الكريم يجب أن نقف عندها موقفًا متأنِّيًا.

وتأكيدًا لهذا التقسيم القرآني الدقيق بأن الناسَ «مؤمنٌ» و «كافرٌ» قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ العلق/ ٩-١٠، أي: أرأيت إلى أنانِيَّته؟ إلى دناءته؟ إلى حرصه على شهواته؟ فهذا كافر، ثم قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢﴾ العلق/ ١١-١٢، أي: أرأيت إلى أخلاقه؟ أَنظرتَ إلى تصرُّفاته؟ فلو كان على هدًى من الله وتقوى فهذا مؤمن...

والإنسانُ صِنفان لا ثالث لهما: موصولٌ ومقطوعٌ، مُحسِنٌ ومُسيءٌ، مستقيمٌ ومُنحرِفٌ، مُنْصِفٌ وجاحِدٌ، مُخلِصٌ وخائن، مؤمن وكافر، والمؤمن الصادق لا يعبد إلا الله وحده.

نعود إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾

إن لم تشعُرْ - أيها المؤمن - بأنك متميِّزٌ عن هؤلاء الشارِدينَ المُنحرِفين فهناك خَللٌ في الإيمان، والذي يعبده الكفارُ من دون الله فإن المؤمنَ لا يعبده. ويجب الانتباهُ إلى أن الفعل جاء مُضارعًا حيث قال تعالى: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾، وكأن الله عز وجل ينفي عن المؤمنين أن يعبدوا ما يعبده الكفارُ؛ فلو أن الكفارَ في العصور السابقة عبدوا الأصنامَ فالمؤمنون لا يعبدون الأصنام أبدًا على مرِّ العصور، ولو أن الناسَ في عصور سابقة (أو في أي وقت) عبدوا شهواتِهم فالمؤمن لا يعبد شهوته أبدًا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ». رواه البخاري. (القطيفة: الثوب المخمل، والخميصة: الثوب من الخز والصوف).

كان الناسُ في عصورٍ سابقة - ومازال بعضُهم - كما قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ التوبة/ ٣١، الآلهة التي تُعبد من دون الله (على ظهر هذه الأرض) لا تُعدُّ ولا تُحصى، بل إن الأهواء (الشهوات) هي بمثابة أصنام تُعبد من دون الله، قال تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ٤٣﴾ الفرقان/ ٤٣، الذي يعبُد شهوتَه، والذي يعبد مصلحتَه، والذي يعبد صنمًا، والذي يعبد حجرًا، والذي يعبد شمسًا وقمرًا، والذي يعبد شخصاً أو حيواناً، هذا كلُّه عبادةُ شرك ما أنزل الله بها من سلطان.

إذا قرأ المؤمن هذه الآية: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢﴾ يجب عليه أن يؤمن إيمانًا قاطعًا مِن كلِّ قلبه أنه لا يعبد أيَّة

جهةٍ يعبدها الكافرون، قديمًا أو حديثًا، ظاهرةً أو باطِنة، صارخةً أو خفيَّةً، مُعلَنةً أو غير مُعلَنةٍ.

ليس شرطًا أن يقول هذه الآية بلسانه، ولكن الشرط أن يدرِك يقينًا أنه كلما رأى شخصًا خاضعًا لشخص آخر، أو خاضعًا لشهوة، أو خاضعًا لأعراف باليةٍ، أو خاضعًا لتقاليدَ غيرِ مُناسِبة غريبةٍ للمجتمع والعرف، أو خاضعًا لسَطْوة أقربائه الذين يُمِدُّونه بالمال، هذا الرجل الذي يخضع لغيره ويعصي الله عز وجل هو يعبد هؤلاء من دون أن يشعر.

إن العباد نوعان: عبيدُ «قهرٍ»، وعبيد «شُكرٍ»، فعبد القهر هو الذي تتوقَّف حياته وأجهزته على إمداد الله له، فهو مضطر إلى الهواء، وإلى الطعام، وإلى الشراب، وإلى غيره، هذا عبد القهر، ويُجمع (عبد القهر) على «عبيد». قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ فصلت/ ٤٦.

أما العبدُ الذي عرف اللهَ، و عرف فَقرَه إليه، وأدرك افتقاره إلى الله، وأدرك ضعفه، وأدرك جهله؛ فالتجأ إلى الله، وأقبل عليه وأطاعه، وانطوى تحت لواء المؤمنين، وعمل الأعمال الصالحة، هذا عبد أيضًا، ولكنه عبدُ الشكرٍ، وعبد الشكر يُجمع على كلمة «عباد»، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ الفرقان/ ٦٣.

إن أعلى مرتبةٍ ينالها الإنسانُ هي أن يكون عبدًا لله، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام خوطِب - وهو في أعلى أحواله وأعلى مقاماته - بالعبودية، قال تعالى في سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴿١٩﴾﴾ الجن/ ١٩، لِبَدًا: أي: متراكِمين من ازدحامهم عليه إعجابًا.

قال تعالى أيضًا في سورة النجم عند وصف إسراء الرسول ﷺ إلى السماوات العُلى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ النجم/ ١٠.

أن تكونَ عبدًا لله يعني أنت أقوى الأقوياء، أن تكون عبدًا لله فأنت أعلم العلماء، أن تكون عبدًا لله فأنت أغنى الأغنياء، هذه العبودية لله، الاستسلام له، والخضوع لأمره وطاعته، و محبَّته، هي أعلى مرتبة ينالها الإنسانُ على الإطلاق، بل إن بعض العلماء الكبار جزاهم الله خيرًا عرَّفوا العبادة: بأنها غاية الخضوع مع غاية الحب.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾

١- المعنى الأول لهاتين الآيتين: أن المؤمن الصادقَ لا يعبد إلا الله تعالى، وبِصِدْقٍ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ التوبة/ ١١٩.

٢- المعنى الثاني: أن المؤمن يتمايز عن غير المؤمن، فمثلًا لو أنك جئت بقارورة ماء نظيفة طاهرة وخلطتها بقارورة ماء قذرة وسخة، من الذي يتضرَّر؟ القارورة النظيفة، إذن لا بدَّ من تمايز المؤمنين عن غير المؤمنين، أما الاحتفالاتُ، والاختِلاطُ المشين، وكشفُ العورات فهذا لا يجوز، إذا اختلط المؤمنون مع غير المؤمنين خسر المؤمنون وَحْدَهُم؛ لأن القارورة القذرة لا تخسر شيئًا إذا خالطتها مع ماء نقيٍّ، لكن الماء النقي هو الذي يفسد وَحْدَهُ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ». رواه الترمذي.

لا تَرْتَدْ أماكنَ خاصةً يرتادُها الفَسَقَةُ والفُجَّار، هذا المكان ليس لك، هذا المكان لا يليق بك، هذا المكان يتناقض مع رسالتك، لا تكن مع الناس في كلِّ أطوارهم وأحوالهم، الأنبياء عاشوا في برجٍ عاجيٍّ أخلاقي، كانوا مع الناس، كانوا يمشون في الأسواق، ولكنهم كانوا يترفَّعون عن وُحولِ البَشَر، لا بد من برج عاجيٍّ أخلاقيٍّ تعتصم به.

لا بد من أن تتمايز عنهم، لا يصحُّ - مثلًا - أن يكون عرسُ أسرةٍ مسلمةٍ مُلتزِمةٍ كعُرسِ أسرة مُتفلِّتة أو كافرة، ولا يصح أن تقول النساء لتبرير المواقف: هذا يوم في العمر! هذا اليوم تكشِف فيه هُوِيَّتك، يجب أن يكون احتفال المؤمنين متميِّزًا عن احتفال غير المؤمنين، في خصوصياتهم، في أفراحهم، وفي أتراحهم، وفي عقود قرانهم، وفي أعمالهم، وفي تجارتهم، وفي كسب أموالهم، وفي بيوتهم، وفي تربية أولادهم، لا بد من التمايز، أما هذا الذي يندمج إلى قمة رأسه مع مجتمع التفلت، مجتمع الفجور، مجتمع الإباحية، فهذا ليس من الدين في شيء، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ المائدة/ ٥١، وقال أيضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ الأنفال/ ٧٢. (يهاجروا: أي يهاجروا إلى الله تعالى وتعاليمه).

لا تستطيع أن تقيم أمرَ الله إلا إذا ابتعدتَ عن سَقَطاتِ البشر، لا بد من أن تتمايز حتى في نزاهتك، لا ينبغي أن تكون مع أكثر الناس في ما يفعلون، و في ما يختلطون، [اختلاطًا غير مبرَّرٍ] وفي ما يقولون، وفي ما يفعلون... ولكن وجب الانتباه أنه لا بد من معاملتهم بالحسنى والوُدِّ والخُلُق الحسن...

وهناك معنى ثالث لهذه الآيات:

٣ - أن المؤمن يعبد الله - ويُطيعُه - حبًّا و إخلاصًا، أما غيرُ المؤمنِ فيعبده كذبًا ونفاقًا؛ أي: إن طريقتي في العبادة غيرُ طريقتكم (أيها الكافرون)، أنا أعبد الله ـ وحدَه ـ مخلِصًا، أنا أعبد متمسِّكًا، ولكنكم أنتم إن عبدتم أصنامكم (أو غير الله) فإنما تعبدونها نفاقاً وتملُّقًا وكذبًا ورياء.

لا بد من أن نكون نحن في وادٍ وهم في واد، وكأنني وضعتُ يدي على مرض المسلمين، حينما يشاهد المسلم [المؤمن] في بيته ما يشاهده غير المنضبط في بيته، ماذا فعلنا في بيوت المسلمين؟ حينما تُفتح النوافذ [المقصود التلفاز وأدوات التواصل الاجتماعي] التي فُتحت لغير المؤمنين ماذا فعلنا في البيت؟ يقول أحد حكماء الهند كلمة رائعة، يقول: «أنا أفتح النوافذ كي أجدِّد هواء غرفتي، و لكن لا أسمح للنوافذ إذا فتحتها أن تأتيني برياح تقتلعني من جذوري»، وحينما تُفتح بعضُ النوافذ بدعوى العَصْرَنة، وبدعوى الحضارة، وبدعوى الاطِّلاع، قد تُفتح بعض النوافذ فتأتي منها رياحٌ تقتلعك من جذورك، وتُبعِدُك عن دينك وعن تراث أُمَّتِك، وعن منهجك، وعن هدفك، فوجب الانتباه من ذلك...

٤ - والمعنى الرابع: أنه حينما أعبد اللهَ أعبدُهُ عن علمٍ، وقناعة، أعبده عن إقبال في كل الأحوال، أما أنتم حينما تعبدون أصنامكم (أو غيرها) فتعبدونها عن جهل وعند المصلحة، ثم لا تفيدكم بشيء.

وهناك معنى خامس:

٥- أنه مهما حاولتم، ومهما اجتهدتم، ومهما تكلمتم، ومهما تفاصحتم، ومهما أغرقتموني بالحُجج الواهية، ومهما ضغطتم عليّ، ومهما

أغريتموني، لن أعبد آلهتكم في المستقبل، هذه على التأبيد، أعظم ما في هذا الدين الاستمرار، الآن لا أعبد ما تعبدون، و إياكم أن تطمعوا في المستقبل أن أعبد ما تعبدون، أغلب الناس السطحيين إذا رأوا شابًّا ملتزِمًا يقولون: سيظل كذلك بضع سنين فقط ويملُّ بعدئذ وسيرجع إلى ما كان عليه...، إياكم أن تطمعوا أن نرجع عما نحن فيه، المسلمون المؤمنون في ازدياد إن شاء الله.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾

من يعبد شهوتَه من دون الله فلن يستجيب للهداية أبدًا.

الكافرون حينما يعبدون شهوتهم من دون الله، وحينما يُصرُّون على انحرافهم، وحينما ينتفعون بكفرهم انتفاعًا ماديًّا، فهؤلاء لا يعبدون الله عز وجل، ما لم يتحرَّروا من ضغوط المادة، ما دامت المادة مَبْلَغَ عِلْمِهم، ومُنتَهَى طُموحِهم، وما داموا حريصين عليها حِرصَهُم على وجودهم فلا يمكن أن يعبدوا ما أعبد، وأنت يا أيها المؤمن لا تطمعْ في إنسانٍ مقيم على شهوته أن يستجيب لك، لا تطمع في إنسان مصرٍّ على مصلحته المنحرِفة أن يستجيب لك، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ القصص/ ٥٠.

وهذا النفي ليس نفيَ جبرٍ، لكنه نفيُ «قواعد وقوانين»، أيُّ إنسان يتَّجه نحو الشرق لا يمكن أن يصل إلى الغرب، إذا اتجه في اتِّجاه ما لن يصل إلى عكس هذا الاتجاه...، ما دام مصرًّا على شهوته، مقيمًا على معاصيه، حريصًا على المادة، يُطيع ويعبد هواه من دون الله.

الملخَّص: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

لذلك المؤمن له أهداف في الحياة، له مناهج، وله قِيَمٌ، وله أخلاق، وله تصرُّفات، وله شعور يملأ قلبه، قلبُه رحيمٌ، هدفُهُ نبيل، منهجه سليم، هذا هو المؤمن، قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾﴾ السجدة/ ١٨، وقال أيضًا: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ القلم/ ٣٥، وقال في آية أُخرى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ القصص/ ٦١. (المحضرين: ممن أحضروا للنار يوم القيامة).

ويقول الله جل جلاله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ التوبة/ ٢٤.

هذه الآية تبيِّن الشركَ الخفيَّ، إذا كانت هذه الأشياء المحبَّبة إلى نفسك أغلى عليك من الله عز وجل، حرصًا عليها فإنك تعصي الله، فاحذرْ؛ فطريقك إلى الله ليس سالكًا. (فتربصوا: انتظروا أمر الله).

مصاحبة المؤمنين والابتعاد عن المُتفلِّتين:

ليس شرطًا عندما تلتقي بإنسان شارد من الطرف الآخر أن تقولَ له: أنت كافر.. ليس هذا من الحكمة إطلاقًا، لكن قلْ هذا لنفسك، أُنْجُ بنفسك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ المائدة/ ١٠٥، هذه آية التمايُز (وليس التعالي أو التكبر أو الانعزال)، أي: إياك أن تسمح لأهلك،

زوجتِك، أولادِك وبناتك أن يختلطوا [اختلاطًا سافرًا بغير حدود] بأشخاص متفلِّتين، عندئذ تنتقل العدوى إليك، وإلى أولادك، وإلى زوجتك، وإلى أهلك... أما علاقات العمل والتعامل العادية فمُستثناةٌ، ولا حرج منها ما دامت في حدود العمل والود والخلق الحسن و في حدود الواجب، ليس القصد أن نملأ الدنيا صياحًا و ضجيجًا للتعاون المطلوب، ولكن القصد أن نَسْلَمَ بأنفسنا وبأهلنا وديننا وأولادنا.

هذه المعاني الخمسة في سورة الكافرون يجب أن يتمثَّلها المؤمن:

١- أنه يعبد الله عن علم وقناعة، وأنه لا يعبد ما يعبده الكافرون والمشركون الضالُّون من أوهام.

٢- ولا يعبد اللهَ كما يعبد الكافرون أصنامَهم بطريقتهم نفاقًا ورياء وجهلًا.

٣- أنه استقرَّ على عبادة وتوحيد الله عز وجل حبًّا وإخلاصًا، ولن يُزيحه عن ذلك أيُّ شيء.

٤- أنه صادق وقوي وثابت في إيمانه، لا تثنيه سبائكُ الذهب اللامعة، ولا سِياطُ الجلَّادين اللاذِعة عما هو فيه.

٥- ولا يختلط بالكافرين وأمثالهم فتفسد صفاته، (ولكن ينبغي معاشرتهم ومعاملتهم بالحسنى والود والقول الحسن والتعاون لقضاء الأمور وللمصلحة المشتركة والعليا للمجتمع وللأمة).

والحمد لله رب العالمين.

الفصل الثاني

سورة الإخلاص

سورة الإخلاص

وهي سورة «مكيَّةٌ»، وقال بعض العلماء: إنها «مدنيَّة»، وهي أربع آيات، وترتيبها السورة رقم (١١٢) الثانية عشرة بعد المئة، وموقعها في الجزء الثلاثين من المصحف الشريف.

سبب نزولها:

قال بعض العلماء: لقد نزلت هذه الآيات الأربع المباركات جوابًا لمن قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم -من الكفار والمشركين-: أُنْسُبْ لنا ربَّك، أو صِفْهُ لنا، فقال تعالى لرسوله ﷺ: قل (أي: لِمَنْ سألوك ذلك)

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

أسماؤها:

لهذه السورة أسماء عديدة، منها ما سماها به الرسول صلى الله عليه وسلم (على سبيل وصف فضائلها) ومنها ما أطلقه السلف رضوان الله عنهم، ومن أشهر تلك الأسماء:

١- سورة الإخلاص (لما تضمنته من الإخلاص لله تعالى).

٢- سورة الصمد (لأنها مختصة بذكر الله تعالى).

٣- سورة التوحيد (لأنها توحد الله تعالى إلهاً واحداً لا شريك له).

٤- سورة التَّجريد (لأنها تجرد الله تعالى من الوالد والولد والمماثلة).

٥- سورة التفريد (لأنها تفرد الله بالعبودية).

٦- سورة النجاة (لأنها تنجي عن التشبيه بالكفر في الدنيا وعن النار في الآخرة).

٧- سورة الولاية (لأن من عرف الله تعالى على هذا الوجه فقد والاه).

٨- سورة المعرفة (لأن معرفة الله لا تتم إلا بمعرفة هذه السورة).

وغير ذلك من الأسماء، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمَّى.

ويعرفها العامة بسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

وقد قيل: إن القرآن أُنزل أثلاثًا، أي ثلاثة أنواع أو ثلاثة أقسام، ثلثٌ منه أحكام، وثلث منه وعدٌ ووعيد، وثلث منه أسماء وصفات لله عز وجل، وقد جمعتْ سورة الإخلاص أحد الأثلاث وهو الأسماء والصفات لله عز وجل.

وقيل أيضًا: إن علوم القرآن ثلاثة: توحيد، وأحكام، وقصص، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد؛ فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار. والله أعلم.

فضلها:

• عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال النبي ﷺ: «يَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟»، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ». [رواه البخاري].

• عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟»، قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

﴿أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثلث القرآن. [رواه مسلم] والمراد أن من قرأها له من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن.

• عن أنس أن رجلًا قال: يا رسول الله، إني أحب هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال ﷺ: «إن حبَّك إياها يدخلك الجنة». [رواه الترمذي].

• عن معاذ بن عبد الله بن خبيب بن أبيه قال: خرجنا في ليلة مَطِيرة وظُلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلي لنا، قال: فأدركتُه فقال: ﴿قُلْ﴾، فلم أَقُلْ شيئًا، ثم قال: ﴿قُلْ﴾، فلم أقل شيئًا قال: ﴿قُلْ﴾، فقلت: ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء». [رواه الترمذي].

• عن أبي هريرة قال: أقبلتُ مع النبي ﷺ فسمع رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾، فقال رسول الله ﷺ: «وجبت». قلتُ: وما وجبت؟ قال: «الجنة». [رواه الترمذي].

• قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة». [سلسلة الأحاديث الصحيحة / ٥٨٩].

• قال رسول الله ﷺ: «يا عقبة، ألا أعلمك سورًا ما أُنزلت في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلُهنَّ، لا يأتيَنَّ عليك ليلةٌ إلا قرأتَهُنَّ فيها، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾». [سلسلة الأحاديث الصحية/ ٢٨٦١].

وكان النبي ﷺ يقرأ في سنة الفجر سورة الكافرون وسورة الإخلاص.

محور السورة:

تضمنت هذه السورة أهم الأركان التي قامت عليها رسالة النبي محمد ﷺ، وهي توحيد الله وتنزيهه، ويدور محور السورة حول صفات الله جل وعلا الواحد الأحد الصمد، الجامع لصفات الكمال، المقصود على الدوام، من كل الخلق الغني عن كل ما سواه، المتنزه عن صفات النقص، وعن المجانسة والمماثلة، وردت على النصارى القائلين بالتثليث (الله ثالث ثلاثة)، وعلى المشركين الذين جعلوا لله الذرية والبنين. والله أعلم.

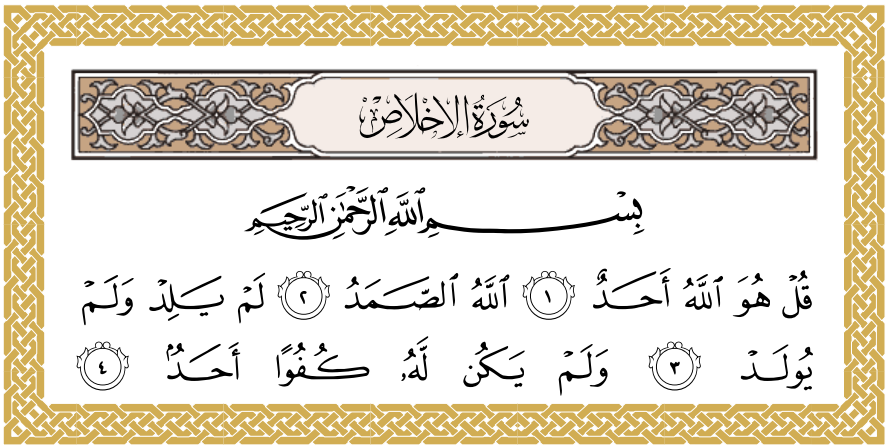

معاني الكلمات:

١ – قُلْ: أي: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم (والخطاب من بعدك لجميع العباد)..

١ – هُوَ: ضمير شأن يعود على ما بعده، أي: (الله) سبحانه.

١ – أَحَدٌ: أصله واحد، وهو الذي لا يتجزَّأ ولا ينقسم، ولا مثيل له، ولا ينعت بـ (الأحديَّة) سوى الله سبحانه.

٢ – الصَّمَدُ: السيد الذي كمُل في المجد والشرف والسيادة والقدر الرفيع والغنى، وهو المستغني عن كلِّ أحدٍ، والمُحتاجُ إليه كلُّ أحدٍ، والمقصود لقضاء الحوائج.

٣ – لَمْ يَلِدْ: لا شيء بعده وليس له أولاد.

٣ – وَلَمْ يُولَدْ: لا شيء قبله ولا أب له.

٤ – كُفُوًا: مُكافِئًا أو مُماثِلًا أو نظيرًا أو نداً..

مـن هدايـة الآيـات

الآية: ١- تقرير التوحيد (الوحدانية) لله وحده، وأنه لا شريك له إطلاقًا.

الآية: ١- وجوب عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فهو الله ذو الألوهية على خلقه دون سواه.

الآية: ١- ٢- ضرورة معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته؛ لعبادته بها.

الآية: ٢- يجب إدراك أن الله هو المقصود -وَحْدَه- في قضاء الحوائج للخلق، وفي تدبير جميع الأمور على الدوام.

الآية: ٣- تقرير بطلان نسب الولد إلى الله تعالى (حاشاه).

الآية: ٣- تقرير بطلان أن يكون مولوداً لأحد (حاشاه).

الآية: ٤- لا يوجد أيُّ مُكافِئٍ لله ولا شبيهٍ ولا مَثيلٍ ولا نِدٍّ؛ إذ ليس كمِثْلِه شيءٌ وهو العزيز الحكيم.

التفسير الموضوعي لسورة الإخلاص[1]

ربُّ العالمين واحد، لا ثانيَ له ولا ثالث، لا صاحبة له ولا ولد. والصفات التي أسندها لذاته العُليا تجعل ما عداه صِفرًا، وتجعل القول به عبثًا، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١﴾ النحل/ ٥١. ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ النساء/ ١٧١.

والتوحيد رُوحُ الإسلام ولُبابُ القرآن. وما نسبه الله إلى نفسه من صفات يجعل ما عداه عبدًا عاجزًا لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًّا ولا نفعًا، فأين هو؟ ولماذا لم يَقبلِ التحدِّي؟ وننبِّه هنا إلى ما سقناه من قَبْلُ من أدلة عقلية على التوحيد ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢﴾ المؤمنون/ ٩١-٩٢، وفي موضع آخر يقول: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ الأنبياء/ ٢٢-٢٣.

والقائلون بالتثليث يرون أن الآلهة ثلاثة، وإن كانوا في الحقيقة إلهًا واحدًا، فَهُمْ أبٌ وابنٌ وروحُ قُدُسٍ، ولا يُتَصوَّرُ بينهم خلافٌ! فما يقولون في قضية الصَّلْب؟ إذا كان الثلاثةُ واحدًا فإنَّ المصلوب هم الجميع، وفَقَدَ العالَمُ ربَّه حينًا من الدهر، وإن كان المصلوبُ الابنَ وَحْدَهُ فليس بإلهٍ يقينًا! ولمن شاء أن يعتنق ما شاء؛ ما نحجِر على إيمان أحد، ولكننا فقط نُنْصِفُ كتابَنا وعقيدتنا، فنحن نتلقَّى التُّهَم من كل جهة..!! وسورة الإخلاص

١- من كتاب (نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم) للشيخ محمد الغزالي - رحمه الله.

سـطر واحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾. الإخلاص/ ١-٤، وهي تَعدِل ثلثَ القرآن (في الثواب)؛ لأنها لخَّصت أصل الاعتقاد عندنا.

فالله ليس كَمِثْلِه شيءٌ، ولم يكن له أحدٌ كفئًا، ويستحيل أن يكون أبًا أو ابنًا. وهو الصمد، أي: السيد الذي يقصده كلُّ مَن في السماوات والأرض. مـاذا يملك غيرُه؟ إن النظام العالمي السـاري في الملكوت لا يتحمل تعدد الآلهة. ومن السُّخْف أن تحسب للشمس إلهًا وللأرض إلهًا، أو أنَّ للحيوان إلهًا وللنبات إلهًا، أو أن لإفريقية إلهًا ولأوروبا إلهًا. إن النظام الكونيَّ واحدٌ، تضبطه إرادة واحدة، وتصوغه قدرة واحدة، والذي يُشْرِف على إفرازات الهضم في أمعاء الأحياء هو الذي يشرف على مسـارات الأفلاك في أقاصي الآفـاق، وفالق الحـبِّ والنوى في الحقول والحدائق هـو فالق الإصباح في عالمنا، وفالق الشروق والغروب في المجرَّات التي لا نراها!.

إننـا بعـد إعمال الفكـر وإدمان النظـر لا نملك إلا أن نقـول: لا إله إلا الله وحـده لا شريك له، لـه الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين.

من خواطر الدكتور محمد راتب النابلسي
في تفسير سورة الإخلاص

ورد في بعض الأحاديث الصحيحة أن سورة الإخلاص تَعْدِلُ ثلثَ القرآن (في الثواب)؛ لأن القرآن فيه أمرٌ ونهيٌ، وفيه إخبار، وفيه أسماء الله عز وجل وصفاته الحسنى، فهذه السورة فيها وصفٌ دقيق للذات الإلهية، يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، الضمائر في اللغة العربية ضمائر مُستَتِرة وضمائر ظاهرة، ضمائر متصلة وضمائر منفصلة، الضمير في العربية يعود على اسم قبله، إلا ضميرًا واحدًا وهو ضمير الشأن ﴿هُوَ﴾ فيعود على ما بعده، مثل: ﴿قل هو نبأ عظيم﴾ ص / ٦٧، الضمير ﴿هُوَ﴾ يعود على النبأ.

﴿هُوَ﴾ في هذه السورة ضمير شأن يعود على ما بعده، وهنا هو ﴿ٱللَّهُ﴾ سبحانه، فربنا عز وجل هو الحقيقة الكبرى في الكون، كل ما في الكون من خلقه وبأمره، وإليه مصيره، كلمة ﴿ٱللَّهُ﴾ هي كل شيء.

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيم لا محالةَ زائلُ

الذي خلق الكون، ألا تعرفه؟ الذي أمدَّك بما تحتاج، ألا تعرفه؟ هو رب العالمين، ألا تعرفه؟ هو المُسَيِّر، هو الخالق، هو البارئ، هو المصوِّر سبحانه...

أما كلمة ﴿ٱللَّهُ﴾ فقد قال عنها علماء التوحيد: هي عَلَمٌ على الذات، ﴿ٱللَّهُ﴾ عز وجل ذاتٌ كاملة، الاسم الذي يشير إلى هذه الذات الكاملة هو ﴿ٱللَّهُ﴾، ما سوى ذلك هي أسماؤه، تقول الغني، القوي، الرحيم، اللطيف، الودود، الحليم، الخبير، هذه أسماؤه، أما إذا جمعت كل هذه

الأسماء بكلمة واحدة ﴿ٱللَّهُ﴾، اسم عَلَمٍ على الذات، إذا قلت ﴿ٱللَّهُ﴾ أي: العليم والقدير والسميع والمجيب ... مُجْتمعةً.

قل هو الله أحد، الحقيقة كأنما ﴿ٱللَّهُ﴾ عز وجل يدعونا إلى معرفته، هل عرفته؟ هو الخالق، كان ﴿ٱللَّهُ﴾ ولم يكن معه شيء، هل عرفته؟ هو القوي، الأرض كلها إذا دخلت في ثقب أسود فضائي أصبحت في حجم البيضة، هذه قوة الثقب الأسود، ومن منح هذا الثقب هذه القوة؟ القوي، هل يوجد جهة في الأرض تقول أنا؟!، من علامات قيام الساعة قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يونس/ ٢٤.

أكبر مدينة في العالم بقدرة الله تغدو تحت الأرض في ثلاث ثوانٍ، وترَون بأعينكم ما يجري في العالم، أعاصير تدمِّر كل شيء، فيضانات تجعل ملايين من الناس بلا مأوى، تُتْلِفُ المحاصيل، تُخَرِّب البيوت. فيضان نهر واحد ارتفع منسوبه ثلاثة أمتار أحرق الأخضر واليابس. زلزال واحد جعلها حصيدًا كَأَنْ لم تَغْنَ بالأمس، هل عرفت القوي؟ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أعرفته رحيمًا؟ أرحم الخلق بالخلق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله عز وجل رحمته واسعة لا تضاهيها رحمة، قال تعالى عنه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ آل عمران / ١٥٩.

هـل عرفت رحمة الله؟ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، يجب أن تعرف رحمته، يجب أن تعرف قوته، يجب أن تعرف كرمه، يجب أن تعرف عدله.

أنـت حينما تؤمـن بالله لا يوجـد إلا الله إله، لا يوجد مـع الله قوي؛ هـو القـوي وَحْـدَهُ، لا يوجد مـع الله غني؛ هـو الغني وَحْـدَهُ، لا يوجد مـع الله رحيـم؛ هو الرحيم وَحْـدَهُ، هو اللطيف وَحْـدَهُ؛ لذلك ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

مـا معنـى أحـد؟ أي: إن الله عز وجل ليـس هناك أحدٌ يُشـاركه في صفاته وأسمائه.

من السذاجة أن تظن أنك بمجرد أن تقول: الله خلق الكون فإنك تعرفه، لا والله، لا بد من أن تقف عند أسـمائه اسـمًا اسـمًا، لا بد من أن تعرف القوي والغني والرحيم والقدير واللطيف، وكل أسماء وصفات الله عز وجل.

الله معك أينما كنت، في خَلْوتك (حين تنفرد مع نفسك) وفي جَلْوتك (خروجك مـن الخلوة)، الله عز وجل لطيف، ويجب أن تعرف شـيئًا عن لطفـه وعن رحمته وعـن قدرته، هو الله، المهيمن، العزيـز، الجبار، المتكبر، الرزاق، السـميع، العليم، الخبير. أحد أكبر مهمات الإنسـان في الإيمان أن يعرف أسماء الله الحسنى ويفهمها ويدعو بها.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، كلُّ مـا خطر ببالك فالله خِلافُ ذلك، كلمة ﴿ٱللَّهُ﴾ تعني أسماءه الحسنى كلها، الكلمة الجامعة المانعة، إذا قلت: يا الله تغني عن كل الأسماء الحسنى.

ليس في خلقه من يَشْرَكُه في علمه ولا في قدرته، فحينما ترى أن الله عز وجل بيده كل شيء، وإليه مصير كل شيء، وهو فوق كل شيء، وهو في كل

شيء، وهو قبل كل شيء، وهو بعد كل شيء، وليس شيئًا في شيء - عندئذ تتوجه إليه وحده، هذا هو التوحيد وهذا هو الدين كله، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ الأنبياء/ ٢٥.

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، واحد غير أحد، واحد عددًا، أحد نوعًا، ولا يوصف بالأحديَّة غير الله تعالى. إنْ رأيْتَهُ أحَدًا في أسْمائِهِ ورُبوبِيَّتِه وصفاته وفي وُجوده وأُلوهِيَّتِه وفي تَصَرُّفِهِ وغِناه - قَطَعْتَ الآمال عمن سِواه، وتَحَرَّرْتَ من القُيود التي أصْلها الرغْبة والرَّهْبة، وهذه هي حال اليقين! شَهِدْتَ اللهَ في كُلِّ شيء.

وفي كُلِّ شيء لـه آيةٌ تَـدُلُّ عـلى أنَّـهُ واحِـدٌ

فإذا شَهِدْتَ أحَدِيَّتَهُ واسْتَغْرَقْتَ بها سَعِدْتَ في الدنيا والآخرة، أيْ: إن مفتاح السعادة كُلِّها أنْ تشْهَدَ أَحَدِيَّتَهُ، وأنْ تشْهَدَهُ واحِدًا لا مثيل له، ولا مُشابِهَ له، ولا شريك له، ولا مُقارب له، فإذا شَهِدْتَ هذه المُشاهَدَة ملكْتَ حالًا لا يعْرِفُها إلا من ذاقَها، هذه الحال هي «الطمأنينة»، إنَّ الله يُعْطي الصِحَّة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلْقِهِ، ولَكِنَّهُ يُعْطي «السكينة» بِقَدَرٍ لأصْفِيائِه من المؤمنين، السكينة التي في قلب المؤمن طمأنينة لو وُزِّعَت على أهْل الأرض لَكَفَتْهُم، فلا يرى إلا الله عز وجل، ولا يخاف إلا من الله، ولا يرْجو إلا الله، ولا يرْغب إلا في ما عند الله.

فالعِبْرة أنْ ترى أَحَدِيَّتَهُ ولا سِواه، إذا رأيْتَ أَحَدِيَّتَهُ اعْتَزَزْتَ بِعَظيم. في نفْس المؤمن عِزَّة لا يعْلَمُها إلا الله، وهذه العِزَّة أتَتْهُ من التوحيد، وما تعلَّمَت العبيد أفضل من التوحيد.

والإخلاص ليس أن تذهب إلى صَوْمَعَةٍ وتعبد الله هناك، هذا لا يريدهُ الله سبحانه وتعالى، هذا يُسمّى اِنْعِزالاً وانْسِحاباً وهُروباً من الحياة، أما إذا خُضْت غِمار الحياة، وكنت خليفة الله في الأرض، وطَبَّقْتَ شرْع الله، وامْتَثَلْتَ أمْرَهُ، وانْتَهَيْتَ عما نهى، وسِرْتَ بِنُوره، وأَقَمْتَ ميزانه ـ فقد حقَّقْتَ إنْسانِيَّتَك وخلافتك في الأرض ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ البقرة/ ٣٠.

يُقيمُ الحق، ويعْدِل بين الخلق، يرْحم الضعيف ويُوَقِّرُ الكبير، هذا هو الإنسان الذي استخلفه الله سبحانه.

حينما توقن أنه ليس مع الله أحد، ولا يرقى إلى كماله أحد تتجه إليه وحده، إن كثيرًا من المسلمين يقولون لا إله إلا الله وهم يعبدون آلاف الآلهة، مَن أطاع مخلوقًا كائنًا من كان وعصى خالقه فهو لم يقل: «هو الله أحد»، فالإنسان الذي أطاعه وعصى من أجله ربه، رآه أقوى من الله؛ فآثر طاعته على طاعة الله.

فالقضية ليست قضية كلام، إنها قضية إيمان حقيقي وممارسات، فالإنسان حينما يغش ويربح مائة ألف بهذا الغش، رأى هذه المائة ألف أغلى عنده من رضوان الله، عصى الله وغش الناس، فالذي يغش الناس لم يقل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إطلاقًا، والذي لا يقيم الإسلام في بيته إرضاءً لزوجته لم يقل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، يعبد زوجته مع الله، وكذلك الزوجة لو أرضت زوجها على حساب طاعة الله... والذي يطيع مخلوقًا

ويعصي خالقًا لم يقل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، القضية خطيرة جدًّا، القضية ليست أن تقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، العبرة ألا ترى مع الله أحدًا، هو وحده الإله الخالق الرحيم والقوي، السميع، البصير، فتتصرف وتعمل على هذا الأساس.

حينما تيأس وتقول: لا يوجد أمل للمسلمين، أنت أشركت و لم تشعر، توهمت أن أقوياء الأرض أقوى من الله، أي: إن الله لا يتدخل، هم يفعلون ما يفعلون والأمر كما يريدون، هذا هو الشرك الخفي، ينبغي أن ترى أن الله بيده كل شيء، وأنه لا إله إلا الله، وأن الأمر راجع إليه وحده، وأنه يفعل ما يشاء، وأنه لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، وأنه بيده الخلق والأمر، قال تعالى:

- ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ الكهف / ٢٦.

وقال أيضاً:

- ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ الأنعام / ١٨.

- ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ الفتح / ١٠.

- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ الأنفال/ ١٧.

- ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ فاطر / ٢.

الله سبحانه وتعالى أحدٌ لا شيء قبله، ولا شيء بعده، ولا شيء مثله، ولا شيء مُقارب له؛ لذلك لا يجوز أن يوصَفَ مخْلوقٌ في الأرض بِكَلِمَة أحد، كلمةُ ﴿أَحَدٌ﴾ لا يُوصف بها إلا الله سبحانه وتعالى.

شيء آخر، وهو أنَّ كلمة ﴿أَحَدٌ﴾ إذا تأمّلتها تيقَّنْتَ أنْ لا مَوْجود إلا الله، ولا فاعل في الكون إلا الله، هذه حقيقة يجب أن تُشاهِدَها، فإن شاهَدْتَها سَعِدْتَ إلى الأبد، وإن لم تُشاهِدْها شَقيتَ إلى الأبد، فإذا قطعْتَ آمالك من غيرهِ وُجودًا وفِعْلًا، ماذا ينقطِعُ مع هذه الآمال؟ تنقطِعُ العلاقة والرغبة مع الغير..، وتُخْلِصُ الوِجْهة لله سبحانه وتعالى، وتكون بهذا ممن صَفَتْ نفْسُه، وممن رأى الله في كُلِّ شيء، وإذا رأيْتَهُ في كُلِّ شيء سَعِدْتَ بِقُرْبِهِ في كُلِّ شيء، لا بد من التوحيد، والفرق بين المؤمن وغيره أنَّ المؤمن لا يرى إلا الله، ولا موْجود سِواه، ولا أحد معه، هو الرب والإله والمُتَصَرِّف والمُعْطي والمُغْني والمُقيت والرزاق والمُعِزّ والمُذِلّ والحكيم والعليم، هو الحكيم ولا حكيم سِواه، وهو الرؤوف ولا رؤوف سِواه، وهو المُتعالي ولا مُتعالِيَ سِواه، هذا معنى الأحَد.

ثمَّ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾

ما معنى الصَّمَد؟: إنَّهُ المُسْتَغْني عن كُلِّ أحد، والمُحْتاجُ إليه كُلُّ أحد، والصَّمَد المقْصود في الرغائِب ـ أي حين ترغب شيئاً.

والمُسْتعان عند المصائِب -أي حين تبكي- وهو يفْعل ما يشاء، ويحْكم ما يريد، وهو الكامل الذي لا عَيْب فيه، وهو الذي لا أحد فوقهُ.

إذا كان الإنسان صاحب منصب، وله سُلْطة وحَوْلٌ وطَوْلٌ ـ أي له تأثير وبيده الأمر ويتصرف كما يشاء ـ ولكن بِكِتابٍ بسيطٍ يصدر عمَّن هو

أعـلى منه يعْزِلُهُ عن هـذا المنصب! فهل هذا صَمَدٌ؟ لا، هـو مُفْتَقِرٌ لِمَن هو فوْقَه كي يُقِرَّهُ على منصبِهِ، فهذا لا يُسَـمى صَمَـدًا، لكنَّ الله تعالى وُجوده صَمَـديّ، أزلي دائم ليس مُفْتَقِرًا لشيءٍ آخر. الإنسـان، هل هو صَمَدٌ؟ لا، هـو مُفْتَقِرٌ للهـواء، فَلَو حُرِمَ الهواء لمات، ومُفْتَقِـرٌ للماء فلو مُنِع عنه لمات، ولو مُنِعَ عنه الطعام يموت كذلك، فهل هو صَمَدٌ؟ لا.

الله سـبحانه وتعالى هو الإله المعبود؛ لأَنَّهُ كاملٌ في أَسْـمائِهِ وصفاته، وَحْدانِيٌّ فيهـا، وصَمَدِيّ، وأَحَدِيَّتُـهُ هي الموجِبَة للتنزُّه عن شـائِبة التَّعَدُّد والتركيب، السيارة – مثلًا – مؤلَّفة من أَجْزاء، فما دامت مكوّنة من أَجْزاء فهي ليْسَـت صَمَدِيَّة، فإذا حَذَفْتَ المُحَرِّك وقَفـت! لأنَّها مُرَكَّبَة، فلا يجوز عـلى الصَّمد تركيب ولا تجْزيء، والصمدِيَّة اسْـتِغْناؤُه الذاتِيّ عمَّن سِـواه وافْتِقارُ جميعِ المخْلوقات إليه في وُجودِها، وافْتِقارُها له في سائِر أَحْوالِها.

أمـا قولـه تعـالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

أي: إنّ الله سبحانه وتعالى لا شيءَ قبلهُ، فلو أَنَّهُ وُلِد لكان هناك شيءٌ قبلـه، ولكنه لم يَلِد ولم يُولَد، فالإنسـانُ يلِدُ غُلامًـا ليُعينَهُ إذا كبر، ولِيَكُون اسْتِمرارًا بعد موتِه، أمّا الله تعالى فهو حَيٌّ باقٍ على الدوام، فَعِلَّةُ الوِلادة لا تجوز على الله سبحانه، فمعنى لم يلد أي: لا شيء قبله ولا شيء بعده.

وقولـه تعـالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، فـلا جِهـة تُماثِلُـه، ولا زوجـة ولا جِهة أكبر منـه كان منها، ولا جهـة أصغر منه هو قبْلها، طبْعًا ولا شيء سَيَكون مُماثِلًا له، بِأيِّ نوع من أنواع المُماثَلة.

ربنا عز وجل قال: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ المؤمنون/ ٩١.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ الأنبياء/ ٢٦.

وقال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ الأنعام/ ١٠١.

الله سبحانه أحد في أسمائه، وصمدي في أسمائه، ولا شيء قبله، ولا شيء بعده، فهذه سورة الإخْلاص، وهي سورة التجْريد، وسورة التوحيد، من قرأها وعرف أبْعادها - عرف كلمة (الله) الاسم الجامع للأسْماء الحُسْنى، فإذا تقينت بهذا انقطع رجاؤك عمن سواه، واتجهت إليه وعبدته وحده وأخلصت له وحده، فسَعِدْتَ بقربه، وقد خلقك ليسعدك.

والحمد لله رب العالمين.

الفصل الثالث

سورة الفلق

سورة الفلق

وهي سورة «مدنيَّة»، وآياتها خمس، وترتيبها السورة رقم (١١٣) الثالثة عشرة بعد المائة، وموقعها في الجزء الثلاثين من المصحف الشريف، وهذه السورة هي إحدى المعوذتين، والثانية هي سورة "الناس"، وهما يستعملان في الرقية الشرعية من شرور خلق الله من إنس أو جن أو حيوان أو جماد. ومن الوسواس الخناس.

سبب نزولها:

قيل إنه كَانَ غُلَامٌ مِنَ الْيَهُودِ يَخْدُمُ رسول الله ﷺ فأتت إِلَيْهِ الْيَهُودُ، وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَخَذَ مُشَاطَةَ رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَعِدَّةَ أَسْنَانٍ مِنْ مُشْطِهِ، فَأَعْطَاهَا الْيَهُودَ فَسَحَرُوهُ فِيهَا، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى ذَلِكَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ، ثُمَّ دَسَّهَا فِي بِئْرٍ لِبَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهَا ذَرْوَانُ، فَمَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا يَدْرِي مَا عَرَاهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: طُبَّ، قَالَ: وَمَا الطُّبُّ؟ قَالَ: سِحْرٌ، قَالَ: وَمَنْ سَحَرَهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ، قَالَ: وَبِمَ طَبَّهُ؟ قَالَ: بِمُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ، فَانْتَبَهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَمَا شَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَخْبَرَنِي بِدَائِي»، ثُمَّ بَعَثَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ فَنَزَحُوا مَاءَ تِلْكَ الْبِئْرِ، ثُمَّ رَفَعُوا الصَّخْرَةَ وَأَخْرَجُوا الْجُفَّ، فَإِذَا فِيهِ مُشَاطَةُ رَأْسِهِ وَأَسْنَانُ مُشْطِهِ، وَإِذَا فِيهِ وَتَرٌ مَعْقُودٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً مَغْرُوزَةً بِالْإِبَرِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى الْمُعَوِّذَتَيْنِ على رسول الله ﷺ فَجَعَلَ كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَوَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خِفَّةً حَتَّى انْحَلَّتِ الْعُقْدَةُ الْأَخِيرَةُ، فقام كأنما

نشـط مِنْ عِقَالٍ، وَجَعَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّـلَامُ يَقُولُ: «بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ وَمِنْ حَاسِـدٍ وَعَيْنٍ، اللهُ يَشْفِيكَ»، فَقَالُوا: يَا رسول الله أو لا نأخـذ الْخَبِيثَ فَنَقْتُلَـهُ؟ فَقَالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَـفَانِي اللهُ وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا». فَهَذَا مِنْ حِلْمِ رَسُولِ اللهِ. رواه البيهقي عن ابن عباس.

وذكـر الفخر الرازي عن سـعيد بن المسـيب أن سـبب نزولها – مع سـورة النـاس – أن قريشًـا ندبوا من اشـتهر بينهم أنه يصيـب النبي ﷺ وسلم بعينه، فأنزل الله المعوذتين ليتعوذ منهم بهما.

تسميتها:

سـمى النبي محمد ﷺ سـورة الفلق أيضاً بـ (قل أعوذ برب الفلق)، فقـد روى النسـائي عن عقبة بـن عامر قال: اتبعت رسـول الله ﷺ وهو راكب، فوضعت يدي على قدمه فقلت: أقرئني يا رسـول الله سـورة هود وسورة يوسف، فقال: «لن تقرأ شيئًا أبلغَ عند الله من قل أعوذ برب الفلق و قل أعوذ برب الناس».

وقد عَنْونها البخاريُّ في صحيحه سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾.

وجـاء في بعـض كلام الصحابـة تسـميتُها – مـع سـورة الناس – بـ «المعوذتـين»، فقد روى أبـو داود والترمـذي عن عقبة بـن عامر قال: أمرني رسـول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات، أي: آيات السـورتين، وفي رواية بالمعوذتـين في دبر كل صلاة، ولم يذكر أحد من المفسرين أن الواحدة منهما تسمى المعوِّذة بالإفراد، وقد سماها ابن عطية سورة «المعوذة الأولى».

وسُـمِّيت في أكثر المصاحف ومعظم كتب التفسير بـ (سورة الفلق). وفي كتاب الإتقان: أنها وسورة الناس تُسمَّيان (المشقشقتين).

فضلها:

- عـن معاذ بن عبد الله بن خبيب بن أبيه قال: خرجنا في ليلة مطيرة وظلمـة شـديدة نطلب رسـول الله ﷺ يصلي لنا، قـال: فأدركتُـه، فقال: ﴿قُلْ﴾، فلـم أقل شـيئًا، ثـم قال: ﴿قُلْ﴾، فلم أقل شـيئًا، قـال: ﴿قُلْ﴾، فقلـت: ما أقـول؟ قال: «قل هـو الله أحد والمعوذتين حـين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء» رواه الترمذي.

- وتُقرأ للتحصُّن والشـفاء من الحسـد والعين (كما ورد عن رسول الله ﷺ).

محور السورة:

يدور محور السـورة حول تعليم العباد أن يلجؤوا إلى حصن الرحمن، ويسـتعيذوا بجلاله وسلطانه (سـبحانه) من شرّ مخلوقاته، ومن شرّ الليل إذا أظلم؛ لما يصيب النفوس فيه من الوحشـة، ولانتشار الأشرار والفجار (والحيوانـات الهائمـة) فيه، ومن شرّ كل سـاحر وحاسـد في الأرض إذا حسد أحداً غيره.

سُورَةُ الفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾
وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

معاني الكلمات:

١ – أَعُوذُ : أي: أستجير وأتحصَّن بالله العظيم.

١ – الْفَلَقِ : أي: الصبح.

٢ – مِن شَرِّ مَا خَلَقَ : من شر جميع الكائنات (إنسان أو حيوان، وحتى الجماد)..

٣ – غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ : أي: الليل إذا أظلم، (أو القمر إذا غاب).

٤ – النَّفَّاثَاتِ : أي: الساحرات اللاتي يَنْفُثْنَ (والنفث: إخراج هواء من الفم دون ريق)، والله أعلم بسبب تخصيص الإناث، (ولكنها تنسحب على كل من يشتغل بالسحر).

٤ – فِي الْعُقَدِ : أي: في العقد التي يَعْقِدْنَها على أدوات السحر.

٥ – وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ : أي: من الإنسان إذا أظهر حسده وابتغاك بضُرٍّ أو أرادك بِشَرٍّ.

من هداية الآيات

الآية: ١- وجوب التعوُّذ بالله ـ التحصّن والاحتماء لدفع الشر ـ واللَّوْذِ ـ الاستغاثة والالتجاء لطلب الخير ـ بجانبه تعالى من كلِّ مَخُوفٍ لا يقدر المرءُ على دفعه لخفائه أو لعدم القدرة عليه

الآية: ٢-٣- ضرورة التعوُّذ من الجماعات المُتَّصفة بالسَّطْو والتسلُّط ابتغاءَ الشر والفساد، وخصوصًا عند حلول الظلام.

الآية: ٢- ٣- ضرورة التعوُّذ من الحيوانات المفترسة والحشرات السامة عند حلول الظلام، وكذلك من شرور الطرقات والجبال والوديان.

الآية: ٤- تحريم إتيان السحرة أو تصديقهم أو طلبهم للقيام بأيِّ عمل، سواء لِجَلْبِ خير – له أو لغيره – أو للإضرار بأيِّ مخلوق.

الآية: ٤- تحريم النَّفْثِ (إخراج الهواء من الفم) في العُقَد (عُقَد الخيوط)؛ إذ هو من السحر، والسحر من الكفر.

الآية: ٥- الحسد هو طلب زوال النعمة عن المحسود (سواء أراد الحاسد هذه النعمة لنفسه أم لم يُرِدْها)، وشر الحسد لما يشتمل عليه من الصفات الذميمة كالغيرة والحقد والكراهية.

الآية: ٥- تحريم الحسد على جميع الناس تحريمًا قطعيًّا؛ إذ هو داءٌ خطير، وشرٌّ وضررٌ، وهو الذي حمل ابن آدم الأول على قتل أخيه، وهو الذي حمل إخوة سيدنا يوسف على الكيد له.

ملاحظة لطيفة:

(الغِبْطَة): هي أن يتمنى المرء أن يكون له مثل ما للمغبوط من النعمة، من غير أن يتمنى زوالها عنه، وهي نوع من الحسد ـ المحمود ـ؛ للحديث الصحيح: «لا حسدَ إلا في اثنتين: رجل علَّمه اللهُ القرآنَ فهو يَتْلوه آناءَ الليل وآناءَ النهار، فسمعه جارٌ له فقال: ليتني أُوتِيتُ مثلَ ما أوتيَ فلانٌ فعملتُ مثلَ ما يعمل، ورجل آتاه الله مالًا فهو يُهْلكه بالحق، فقال رجل: يا ليتني أُوتيتُ مثلَ ما أُوتيَ فلانٌ فعمِلتُ بمثل ما يعمل» رواه البخاري.

أما «العين» فهي حقٌّ، وهي سهام تخرج من نفس العائن (الذي يَرْمُقُ الآخرَ بِغِلٍّ وحسد). وكلُّ إنسان مُعَرَّضٌ للعين؛ قال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدُكم من نفسه أو ماله أو أخيه ما يعجبه فَلْيَدْعُ بالبركة؛ فإن العين حق». رواه ابن السني.

فيستحب أن يقول: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ الكهف/ ٣٩. هذه من العين المُعْجَبَة، وهناك عين حاسدة، وهي من نفسٍ خبيثةٍ؛ فلذلك وجب التحصين بقراءة المعوذات ثلاث مرات حين تصبح وثلاث مرات حين تمسي ـ وتمسح بيديك على كافة جسمك ـ ولك أن تحصّن أولادك وأهلك بها، وذلك بقراءتها عليهم بالإضافة إلى سورة الإخلاص.

والعلاج من العين يكون بقراءة أدعية الرقية التي ثبتت ورويت عن رسول الله ﷺ والمعوذتين والإخلاص ثلاث مرات (وآية الكرسي)، فيشفى بإذن الله. والله أعلم.

التفسير الموضوعي لسورة الفلق[1]

﴿أَعُوذُ﴾ بالله أي: أحتمي به وأتحصَّن. والله عز وجل يجيب من سأله، ويعيذ من استعاذ به. وقد نزلت السورتان الأخيرتان من المصحف الشريف تُعلِّمانِنا كيف نتحصن بالله من شرور كثيرة، فإن الحياة حافلة بما يسوء. قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ الأنبياء/ ٣٥، ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ الأعراف/ ١٦٨. وسورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ الفلق/ ١-٢، حصن قوي لمن أراد (اللِّياذ) بالله والظفر بحمايته.

والفلق: هو الصبح، أو الضوء الذي يشق الظلام. ومصادر الشر كثيرة من جراثيم وزواحف وسباع وبشر!

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾ الفلق/ ٣، أي: من شر الليل إذا دخل واشتدت ظلمتُه. ولا يزال الليلُ مسرحًا للصوص والعُهَّار ومُغتالي الحقوق والحرِّيَّات.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ الفلق/ ٤، قيل: من شر النساء السواحر! وللسحر حقيقة عند بعض العلماء، ولشياطين الإنس والجن شغل به، والاستعاذة تبطله.

ويرى ابن حزم وعلماء الظاهر أن السحر لا حقيقة له، وإنما هو خداع وتَخْيِيلٌ. وللعامة أوهامٌ كثيرة في هذا الميدان ينبغي الحذر منها.

١- من كتاب (نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم) للشيخ محمد الغزالي - رحمه الله.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ الفلق/ ٥ ، ومما يُستعاذ بالله منه الحسدُ، وهو رذيلة تقوم على تمنِّي زوالِ النعم، وكُرْه أصحابها والكَيْدِ لهم. والحسد من أشيع الجرائم بين الناس.

حسدوا الفتى إذْ لم ينالوا سَعْيَه فالكلُّ أعداءٌ له وخصوم!

وقد يُطلَق الحسد على العين! وهي نظرة مسمومة نحو ما يكون من خير، ينسُج الناس حولَها حقائقَ وأباطيلَ. والاستعاذةُ على كلِّ حالٍ تعصِم من الواقع والمُتوقَّع , وتقي المؤمنَ شرورَ الآخرين.

من خواطر الدكتور محمد راتب النابلسي
في تفسير سورة الفلق

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، الفعل ﴿قُلْ﴾ يعني أن النبي عليه الصلاة والسلام مأمورٌ أن يقول نصَّ هذه الآية، وأن القرآن الكريم من عند الله حرفًا بحرف، وحركة بحركة، ونصًّا بنصٍّ، وترْتيبًا بِتَرْتيب، وكُلُّ شيء في القرآن الكريم إنما هو مُنْزَل من عند الله بِنَصِّه.

معنى ﴿أَعُوذُ﴾ أي: أَلْتَجئُ وأحْتَمي وأسْتَنْجِد وأستجير ـ للحفظ ودفع الشر، ومعنى (ألوذ) أستغيث لطلب الخير، كُلُّ هذه المعاني مُسْتفادة من كلمة ﴿أَعُوذُ﴾، نقول: عاذَ الطِّفْلُ بِأُمِّه، أيْ: الْتَجأ إليها، واحْتَمَى بها، وأوى إليها، ورجا عندها الأمل، احتمى بها من أعْدائِهِ، فَسُبْحانه وتعالى له مخْلوقاتٌ شِرِّيرة ومخْلوقات من نوع الحيوان ومن الجَماد، الصواعِق والبراكين والزلازل والأمراض، ومخاطر من نوع الإنسان، إنْسانٌ شِرِّير يُحِبُّ لك الأذى ويُحِبُّ أنْ يوقِعَ بك.

وكلمة ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ ذهب العلماء في تفْسيرها مذاهب شَتَّى، ولكنَّ أرجح هذه التأويلات والتفسيرات أنَّ ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ هو الكونُ كُلُّه، كان الله ولم يكن معه شيء، فخلق الكَوْن، فالكون هو الفلق، والسماء تنشَقُّ عن المطر، والمطر هو الفلق، والأرض تنشَقُّ عن النبات، والنبات هو الفلق، والمرأةُ تلِدُ طِفْلًا، والطفل هو الفلق، والشجرة تُنْبِتُ بُرْعُمًا، والبُرْعم هو الفلق، والبُرْعم يُنْبِتُ زَهْرَةً، والزهرة هي الفلق، والزهرة تنْعَقِدُ ثَمَرَةً والثمرة هي الفلق، وأُنثى الحيوان تلِدُ ومَوْلودها فلق، كُلُّ شيءٍ خرج إلى حَيِّز الوُجود، كان غائبًا عنَّا فَظَهَر، انْشَقَّ فَظَهَر هو ﴿ٱلْفَلَقِ﴾.

لكنَّ بعض المُفَسِّرين قالوا: سورة الفلق اسْتِعاذة بالله سبحانه وتعالى ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، وسورة الناس اسْتِعاذة بالله سبحانه وتعالى ﴿من شرِّ الوسواس الخناس﴾، فالأشْياء التي تُصيب الإنسانَ والتي لا يستطيعُ الإنسانُ دَفْعَها كالتي تُسَمَّى قضاءً وقَدَرًا اسْتَعذ منها بِسورة الفلق، والأشياء التي هي من أعْمال الإنسان، ومن أخْطاء الإنسان، والتي تُسَبِّبُ متاعب للإنسان فَلْيَسْتَعِذ منها بِسُورة الناس.

وقال بعضهم: الفلق هو الصبح، لكنَّ الفلق أعمّ من الصبح، كما أسلفنا الاسْتِعاذة هناك المُسْتَعيذ، والمُسْتعاذ به، والمُسْتَعاذ منه، فالمُؤمن مأمور أنْ يستْعيذ والمؤمن مُتواضِعٌ لله عز وجل وليس في قلبه كِبْر، يخاف عذاب الله وبطْشَهُ، يسْتعيذ بالله فهُو مُسْتعيذ، وأخْطار الحياة يُسْتعاذ منها، والله سبحانه وتعالى يُسْتعاذ به، فإذا استعاذ الإنسانُ بِغَير الله فقد أشْرك، إنْ اسْتعاذ بِقُوَّتِه أو استعاذ بِقَرابته فقد أشْرك، إنْ احتمى بِماله وقال: المال هو كُلُّ شيء فقد أشْرك.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢﴾ الزمر/ ٦٢.

وقال على لسان سيدنا هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٦﴾ هود/ ٥٦.

فالله سبحانه وتعالى ربُّ الفلق، وهو وحده أهلٌ أنْ تسْتعيذ به، فاسْأل نفْسك هذا السؤال: إذا ألَمَّتْ بك مصيبةٌ فأنت تسْتعيذ بِمَن؟ أتَفْزَعُ (تلجأ) إلى قريبٍ لك من ذوي الحَوْل والطَّوْل ـ أي من له السلطة والنفوذ!ـ أتفْزَعُ إلى واسِطَةٍ تُرَجِّحُ المَوْقف! أتفْزَعُ إلى مالِكَ تدْفَعُهُ للناس؟! أم تفْزَعُ إلى الله عز وجل؟؟.

كان عليه الصلاة والسلام إذا حَزَبَهُ (اشتد عليه) أمرٌ بادر إلى الصلاة.

ومن علامة الإيمان أنْ تستعيذ بالله عز وجل، وتلجأ إليه، وأنْ تكون في حِماه وظِلِّه، فَقُل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، هذا أمرٌ مُوَجَّهٌ إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فَمَن أنت؟!.

كذلك يجب أن تعلم بأن الله أمَرَ المؤمنين أيضًا بِما أمر به المُرْسلين ـــ والعباد أجمعين ـ مما يُؤَكِّدُ هذا التفْسير ويَدْعَمُهُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٩٥﴾ الأنعام/ ٩٥ ـ أي كيف تصرفون عن عبادته سبحانه.

وهناك آيةٌ أُخْرى، وهي قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٩٦﴾ الأنعام/ ٩٦ – فالق الاصباح: الذي شق ظلمة الليل عن أول النهار وحسباناً: أي بحسابٍ مقدّر.

الله سبحانه وتعالى هو الخالق، وهو العزيز العليم، وهو وَحْدَه أهلٌ للاسْتِعاذة به إنْ كنت مؤمنًا به، وإذا اسْتَعَذْتَ بِسِواه فإنَّ في إيمانك خَلَلًا، وفي إيمانك شِرْكًا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٠٣﴾ يوسف/ ١٠٣، وقال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ يوسف/ ١٠٦.

بِمُجَرَّد أنْ تستعيذ بغير الله فقد أشْرَكْتَ؛ لذلك فالدعاءُ الشهير إذا أقْدَمَ المرءُ على عمَلٍ قال: «اللهمّ إني تَبَرَّأتُ من حَوْلي وقُوَّتي والْتَجَأتُ إلى حَوْلك وقُوَّتِك يا ذا القوة المتين»، وكلما لاحَ لك شَبَحُ مصيبة وتَوَهَّمْتَ من إنسانٍ قَوَّةً وأنَّهُ يُريدُك بهذه القوّة فاقرأ سورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾

واقرأ أيضًا سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، أليس النبي عليه الصلاة والسلام قُدْوَةً لك في هذا؟.

الاسْتِعاذة بالله تعالى من علامات الإيمان، وهناك من يرى لِنَفْسِهِ شأنًا كبيرًا، وأنّه أكبر من ذلك، هذا هو الكِبْر، والمُتكبِّر دواؤُهُ القَصْم (الكسر والذل)، وما من مُتكَبِّر إلا قَصَمَهُ الله عز وجل، عن الرسول ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ». رواه مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ. (بطر الحق: رد أو رفض الحق، وغمط الناس: ازدراؤهم).

قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾

الله سُبْحانه وتعالى لا يخْلق شَرًّا ــ إنما هو بمفهومنا البشري فقط ــ وفي العَقيدة السليمة: آمنْتُ بالقَدَر خيره وشَرِّه.. فإذا سأل سائِلٌ: من الذي خلق الشَرّ؟ الشرّ كَ (شَرٍّ) ما مَبْعَثُهُ؟ نجيبه: كُلُّ شيء خلقه الله سبحانه وتعالى خيرٌ لنا، ولكن من أين يأتي الشرّ؟ حينما يغفل الإنسان عن الله تعالى، وتتحَرَّكُ شهواته كي تُرْوى، فبِتَحَرُّكِهِ لِشَهَواته من دون بصيرة من الله عز وجل ومن دون هُدى يقعُ له الشرّ، إذًا متى يصْدُر الشرّ من الإنسان؟ إذا غفل عن الله عز وجل، لأن الله تعالى أمره ألاّ يغفل عنه.

وعلى سبيل المثال: سيارة مُنْدَفِعَة، ما دام فيها سائِق ماهر وحكيم، والأدوات كلها بِيَدِهِ وتحت سَيْطَرَته، ومعه ضَوْءٌ كاشِف – يكون الخير، وتنْقُلُه إلى مُبْتغاه، أما إذا كان سائِقُ السيارة مُدْمِنَ خَمْرٍ ـ وقد نهى الله عنه

ـــ قد يقـعُ الحادث المُفْجِـع، وإذا انْطَفَأ مصْباحه ـ في غفلـة ـ يقع الحادث كذلك، فالشَّرُّ طارئٌ والأصل هو الخير.

فالإنســان إذا أقبـل على الله عـز وجـل كانَ خَيِّرًا، فـإذا حُجِبَ عن الله عـز وجل، وانْقَطَع عنه وأعرَض، وكانت في نفسـه شـهَوات من دون هُـدى من الله عز وجل هنا يقـعُ الشرّ، (إذاً الشرّ حـدثٌ طارئ ينتج عند عـدم اختيـار الخير)، فلا يصْـدُر الشرّ من الإنسـان إلا إذا تحَـرَّك وهو في عَمـى، أمـا إذا تحَرَّك لِقَضاء حاجاته وشَـهَواته وَفْقَ مـا أمر الله عز وجل، وَوفْـقَ الهُدى الإلهي فـلا يقعُ الشَرّ، يتزَوَّجُ فَيَقَعُ الخير، يسْـكُنُ إلى زَوْجَتِه وتسْـكُنُ إليـه، ويُنْجِـبُ أوْلادًا أبْـرارًا، يُرَبِّيهـم على حُبِّ الله ورسـوله، ولـه عمـلٌ ينْفَعُ به المسـلمين، فـأيُّ حَرَكَـة تتحَرَّكُها وَفـق المنهج الإلهي فأنت في خير.

الآن هناك نقطة دقيقة وهي: مع أنَّ بعض الناس يكون شِرِّيرًا بِحُكْمِ بُعْدِه عن الله عز وجل، وانْقِطاعه عنه، وبِحُكْم العمل الذي وقع فيه، فهذا الإنسـانُ الشِرِّير ليس طليقًا، بل هو بِيَد الله عز وجل، يسـوقه لِمَن يسْتحقّ أنْ يوقِعَ الأذى به، الظالم سَوْطُ الله ينْتقم به ثمَّ ينْتقم الله منه.

قـال بعضُ علـماء التوحيد: إنَّ الشرَّ ليس له وُجـودٌ إلا في النُّفوس، أما في العالم المادِّي فإنَّ شرّ الإنسـان يُوَظِّفُه الله تعالى في مصْلَحَة الإنسـان، فهذا السـارق يُحِبّ أن يـسرق، والسَرِقَةُ شرّ ورَغْبَـةٌ في الحُصول على المال من دون هُدًى من الله عز وجل، هذه السرقة شرّ، لكنَّ الله سبحانه وتعالى ـ قد يكون ـ سـخّر هذا السـارق، يسوقه إلى مالٍ حرام وذلك لحكم كثيرة منهـا أنـه هو يُؤَدِّبُ به المـسْروق أولاً، ثم يعاقب السـارق بعدها ـ أي أن

السارق له حساب وخيم ولن يفلت من عقاب الله سواءٌ في الدنيا أو الآخرة.

أما الشرُّ الذي يصدر عن الحيوان فَإنما يقع حينما يتجاوَزُ ذلك الحيوان حُدودَه، فالأفْعى حَيَوانٌ نافِعٌ إذا بَقِيَتْ في باطن الأرض، فإذا خَرَجَت تُصْبِحُ شرِّيرة، وقد أُمِرْنا بِقَتْلها، وكذا العَقْرب؛ لأنَّها تجاوَزَتْ حُدودها، وقد اكتشف العلماء أنَّ هذه الحيوانات التي تعيش في باطن الأرض لها دَوْر خطير في تَهْوِيَة التربة، وفي إنْبات المزروعات.

أما الشرّ الصادر عن الجمادات فهو في سوء استعمالها، فالله سبحانه وتعالى خلق المواد كلَّها، فإذا اسْتعملها الإنسان في غير مَوْضِعها سَبَّبتْ ضَرَرًا، فكما تُلاحِظون أنَّ الشرّ طارئ، وهو سَلْبي، وليس إيجابيًّا.

كُلُّ أنواع الشرور إما أن تنْتج عن غفلة من الإنسان، وقد أُمِرَ أنْ يكون مع الله سبحانه وتعالى، وإما أنْ تنتُجَ عن تجاوز الحيوان حَدَّهُ، أو اسْتِعماله في وَظيفَةٍ لم يُخْلَق لها، كأن تأكله وقد حَرَّم الله تعالى أكْلهُ، أو أن تستخدم المواد التي خلقها الله عز وجل كلها لِمَصْلَحة الإنسان، أنْ تسْتَخْدِمها في غير مَوْضِعِها، فهذا هو الشرّ.

هذا الإنسان إذا غفل، وهذه الحيوانات إذا تجاوزَتْ حَدَّها، وهذه المواد إذا أُسيء اسْتِخْدامُها... كل هذا من شرّ ما خلق، ويأتي الأذى منها.

القرآن ـ كما يقول العُلماء ـ قَطْعِيُّ الثبوت، قطْعِيُّ الدلالة، فَقَطْعِيُّ الثبوت أي: إنَّ القرآن كلام الله تعالى قَوْلًا واحِدًا، وقَطْعِيُّ الدلالة أي: إنَّ المعنى المُستفاد من هذه الآيات حقيقةٌ ثابتة يقينِيَّةٌ لا مجال لِرَدِّها، اسْتَمِعوا قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ

سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ النساء/ ٧٨، والمقصود بـ (قُلْ كُلٌّ): أي من الحسنة والسيئة، الخير والشرّ، (مِّنْ عِندِ اللهَّ): أي بقضائه وقدره،واضع السنن الكونية لحصولها قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ النساء/ ٧٩، والحسنة من الله تعالى لأنه أمر بالأخذ بأسبابها بعد أن أوجدها وبينها ويسرها بتيسير أسبابها وأبعد الموانع عنها (أي قال إفعل هذا ولا تفعل هذا) فلو اتبعنا أوامره اكتسبنا الحسنات، والسيئة من النفس لأن الله بينها لنا ونهى عنها وتوعد على فعلها ولم يوفق إليها ولم يعي عليها فإذا فعلها الإنسان فهي من نفسه (أي بكسبه واختياره هو بعد بيان الخير له).

و(سَيِّئَةٍ) هي نكِرَة، وهو تنْكيرُ شُمول، فأيَّةُ سيِّئَةٍ على الإطلاق مهما كانت صغيرةً أو كبيرةً، ومهما كانت مُباشِرَة أو غير مُباشِرَة، مُؤلِمَةً أو طفيفة الألم، وما أصابك من سيِّئَةٍ فَمِن نفْسِك، فَمَن وجد خيرًا فَلْيَحْمَدِ الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفْسَه، هل تسْتطيع ــ إنْ كنتَ مؤمنًا بالله وبِكِتابه الكريم ـ أنْ تقول إذا أصابَتْكَ مُصيبة: وأنا ماذا فَعَلْتُ؟! لا والله!.

آيةٌ ثالثة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ الشورى/ ٣٠.

آية رابعة، قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ آل عمران/ ١٦٥.

فالله تعالى بيّن ـ من خلال الأنبياء والرسل والكتب المنزلة – وفتح لعباده أبواب إحسانه وأمرهم بالدخول لبرّه وفضله، وأخبرهم أن المعاصي مانعة من فضله، فإذا فعلها العبد أي – باختياره – فلا يلومن إلا نفسه، فإنه هو المانع لنفسه عن دخول فضل الله وبرّه إليه.

ما مِن عَثْرةٍ أو اخْتِلاج عِرْقٍ ولا خَدْشِ عودٍ (عثرة: تعثر التقدم، واختلاج عرق: اضطراب، خدش عود: أثر في الجلد من جرح عود أو ما شابهه) إلا بِما قَدَّمَتْ أيديكم، وما يعْفو عنه الله أكثر، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السماوات وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وأن أقترف على نفسي سوءًا أو أَجُرَّه إلى مسلم»، ثم قَالَ: «قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ».

رواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

هناك دِقَّةٌ بالغة في أقْوال النبي عليه الصلاة والسلام، لم يقُل: اللهم إنِّي أَعُوذُ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ ومن شَرِّ نفْسي، فلما قَدَّمَ شَرَّ النفْس على شَرِّ الشيطان أَكَّدَ أنَّ كل شيء بيد الله ــ ووفق حكمته ومشيئته ـ سبحانه وتعالى؛ لذلك ورد عن سيدنا علي: «لا يخافَنَّ العبدُ إلا ذَنْبَه، ولا يرْجُوَنَّ إلا ربَّهُ» –وإن النفس أمارة بالسوء– وشرها أعظم من الشيطان الذي يهرب فور الاستعاذة بالله أما النفس فإنها تلحّ عليك، والله أعلم.

إذا رَجَوْتَ الله سبحانه وتعالى، وإذا خِفْتَ الله تعالى خافَكَ كُلُّ شيء، وإذا لم تَخَفِ الله تعالى أخافك من كلِّ شيء، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ المائدة/ ١١.

فحينما يكون الإنسان مع الله عز وجل يَكُفُّ عنه أيدي الأشرار، وهناك شيءٌ في التَّوْحيد يُسَمُّونه «التَّسْليط» -أي جعل سُلطة-، وهو من الله عز وجل، فإذا اسْتَحقَّ العبدُ مُعالَجَةً سَلَّطَ الله عليه من لا يرْحَمُهُ، وإذا اسْتَحقَّ «إكْرامًا» كَفَّ الله عنه يد الأشرار، تَذَكَّر أنَّك إذا لم تسْتَقِم على أمر الله، ولم تلْتجِئ إليه، ولم تسْتَعِذ به، فالأشْرار كثيرون، والجِهات التي تُخيفُ الإنسانَ عديدة، فَمَصادِرُ القلق والخوف في الحياة الدنيا لا تُعَدُّ ولا تُحْصى، وإذا عرَفْتَ الله سُبحانه وتعالى، واسْتَقَمْتَ على أمره، والْتَجأتْ إليه، واسْتَعَذْتَ به - دَخَلْتَ في أمْنٍ، قال تعالى: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ الأنعام/ ٨١.

شيءٌ آخر: لماذا خلق الله سُبحانه وتعالى أشْياء تُخيفُنا؟ لماذا خلق الأفعى والعقرب وأشْخاصًا مُخيفين شِرِّيرين؟ قال علماء التوحيد: لو لم يجْعل الله سبحانه وتعالى في الأرض مصادر للخَوْف فربما تستغني عنه، وبِهذه الأشياء المُخيفة تبْقى مُلْتَجِئًا إليه، وإذا الْتَجأتَ إليه سَعِدْتَ بِقُرْبِه، فالطِّفْل إنْ ترك أُمَّه شَقِيَ، فإذا كان هناك حيوان مُخيف للطفل في الطرف الآخر، فهذا الطفل يبْقى مع أُمِّه، فهذه الأشْياءُ المُخيفة التي بثَّها الله في الأرض من حيوانات، وجمادات، وأشْخاص شِرِّيرين، وأشياء مزعجة تَصْنَعُ الوِجْهَة إلى الله، والالْتِجاء إليه، وتحملك على أن تلوذَ به، وتحْتمي

بِحِماه، وتُقْبِلَ عليه، وتستَعيذَ به: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، حِكْمَةٌ بالغة.

لو جاءَتْكَ ورقة صغيرة تقول: تعال إلى عندنا بعد أسبوع، لن تنام ذلك الأسبوع خَوْفًا من هذا الاسْتِدْعاء، فالأشياء المُخيفة هي في خِدْمَة الإنسان، صار الشرُّ إذًا نِسْبيًّا، يا ترى لو أُصِيب الإنسان بالزائِدَة الدودية والْتَهَبَتْ أَلَيْسَ شقُّ البطن ونُزول الدم منْظَرًا يدعو للخَوْف؟ ومع ذلك فإن هذه العمليَّة من أجل راحَتِهِ، أَلَيْسَ حفْرُ السِنِّ مُؤلِمًا؟ من أجل راحَةٍ أكبر منه فصار الشرّ نِسْبيًّا.

تقول الآية الكريمة: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ آل عمران/ ٢٦.

قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ خيرٌ، وقوله: ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ -بِنَظَر الناس- شرٌّ، ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ خيرٌ، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ شرٌّ، لكنْ إيتاءُ المُلك ونَزْعُ المُلك، والإعْزازُ والإذْلال كُلُّها خير عند الخبير والعليم والحكيم وهو الذي يعالج، وعند الذي خلقك للآخرة، وعند الذي أعدَّ لك ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خطر على قلب بشر، وعند الذي خلقك من أجْله، أما إذا آثَرْتَ أنْ تكون من أجل عباده أذاقَكَ الله بأسَهُم (عذابهم لك وتسلطهم عليك)، فإما أنْ تكون عَبْدًا لله، وإما أنْ تكون عَبْدًا لِبشرٍ شرير، فاخْتَرْ! لا بد من العُبودِيَّة، إما أنْ تكون عَبْدًا لله، فَعَبْدُ الله حُرٌّ وعزيزٌ وكريم، وإما أنْ تكون عبْدًا لِعَبْدٍ

لئيم، إنْ أحْسَنْتَ لم يَقْبل، وإن أسأتَ لم يغفر، إنْ رأى خيرًا دَفَنَهُ، وإن رأى شَرًّا أذاعه.

المصائِبُ نِعَمٌ باطِنَة، رَجُلٌ أُصيبتْ ابنته بِمَرَضٍ عُضال، بذل من أجل عِلاجها المُستحيل، فباع بيْتَهُ، وبعد سَنَواتٍ طويلة فكَّر ساعَةً، وقال: لو أنَّني تُبْتُ إلى الله لَعَلَّ الله يشْفِيها، فبدأ يُصلي هو وزوْجَتُهُ، حَجَّب زوْجَتَهُ، وابْتَعدا عن المُنكر، فَشَفاها الله عز وجل، فَبَيْعُ بَيْتِهِ، وهذه السنوات الستُّ التي أمْضاها في ألمٍ لا يُحْتمل من جراء مرضٍ عضالٍ أصاب ابنتَه، ثمَّ انْتهى هذا كُلُّهُ بِهُداه، واصْطِلاحه مع الله سبحانه وتعالى، أَيُعَدُّ هذا المرض شرًّا؟ أَيُعَدُّ بيْعُ بيْتِهِ شرًّا؟ لا والله. ولو أنَّ تاجِرًا احْتَرَقَ متْجَرُهُ، ثم تاب عن التعامل بالربا، وكان احْتِراقُ هذه البِضاعة سببًا لِتَوْبَتِهِ وتَرْكِهِ الرِّبا، أَيُعَدُّ هذا شرًا؟ لا والله، لكنّ الله سماهُ شرًّا بِحَسَبِ مفْهومِنا نحن، وبِحَسَب مصطلحنا بيننا.

ثمَّ قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾

قال بعضُهم: الغاسِق هو الليل، وقال بعضهم: الشيطان. لماذا هو غاسِق؟ لأنه مُظْلم، ولأنَّهُ بعيدٌ عن الله تعالى، فبُعْدُهُ عن الله تعالى أوْقَعَهُ في ظُلْمة. قال عليه الصلاة والسلام: «الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَآَنِ – أَو تَمْلَأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوعَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَو مُوبِقُهَا». رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري. (الطهور شطر الإيمان: أي طهارة الإنسان نصف الإيمان. الصدقة برهان: بذل المال برهان على إيمان العبد. القرآن حجة

لـك أو عليك: امتثال أوامر الله في القرآن هو حجة لك يوم القيامة وهجر القـرآن حجة عليك يوم القيامة. كل الناس يغدو فبائع نفسـه فمعتقها أو موبقها: يبـدأ الناس عملهم في الصباح فمنهم مـن يتجه للخير فهو يعتق نفسه من النار في الآخرة ومنهم من يتجه للشر فمصيره الهلاك.

الإعـراضُ (البُعـد) عـن الله ظُلمـة، وأكـبر هـؤلاء المُعْرِضين هو الشيطان، وفي غَسَقٍ: أي: في ظلامٍ دامِس.

﴿إِذَا وَقَبَ﴾ أيْ: دخـل في الوَقْب، والوَقْب هو الكُوَّة ـ وهي فتحة غير نافذه ـ وهي كِنايَةٌ عن صَدْر الإنسـان، فإذا دخل الشيطان في الإنسان فالعِياذ بالله! جَعَلَهُ شِرِّيرًا، يُحِبُّ شَـهْوَتَهُ ولو كانت على حِساب الآخرين، يُحِبُّ قضاء لَذَّتِهِ ولو أدَّتْ إلى تحْطيم غيره، يُحِبُّ اكْتناز المال ولو كان سـلْبًا أو سَرِقَـةً، يحِـبُّ أنْ يحْيا ويموت النـاس، ويأكُلَ ويجوع النـاس، يُحِبُّ أنْ يبْنِـيَ مَجْـدَهُ وحياته على حسـابهم، أنْ يبْني أمْنَهُ على قَلَقِهِـم، أنْ يبْني مَجْدَهُ عـلى ذُلِّهِم، وهؤلاء مصيرهـم العقاب الشـديد في الدنيـا والآخرة، لكن معك سِـلاحٌ ضِدَّ الشـيطان، وهو فعَّـالٌ جدًّا، إذا قُلْـتَ: «أعوذ بالله من الشـيطان الرجيم» كأن هذا السـلاح الخطـير تُصَوِّبُهُ عليـه فَتَجْعَلُهُ يَهْمَد ويبعـد، ونجوت منـه، ربُّنا عز وجل قـال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ الأعـراف/ ٢٠٠، قـال تعالى أيضًا: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ المؤمنون/ ٩٧.

إنْ ألمّ بك خاطِرٌ خطيرٌ لا يُرْضي الله، كأنْ تأخُذَ شيئًا ليس لك، أو أن تَحْتال، أو أنْ تُدَلِّس ـ تضلل أو تُسند الحديث إلى غير راويه ـ أو أن تخْدَع، أو تُخْفـي عَيْبَ البِضاعة، أو تكذِب في رأسـمالك، أو تُزَوِّر، فاسْـتَعِذ بالله

من الشيطان الرجيم؛ لأنّ هذه وساوِسُ الشيطان الذي دخل إلى صَدْرِك، فقُل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

الآن هناك مَعْنيان: المعنى الأول: الشيطان إذا دخل إلى الإنسان نفسه. والمعنى الثاني: إذا دخل الشيطان إلى شخص آخر فيُصْبِحُ وحْشًا يكاد ينقضُّ عليك، فاسْتَعِذ بالله أنْ يدخل الشيطان إلى صَدْرك فَيُوَسْوِس إليك، واسْتَعذ بالله أنْ يدْخُل الشيطان إلى صَدْر إنسانٍ آخر تتعامل معه فينْقلب أمامك شِرِّيرًا -وقد يصيبك منه شر-.

قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ القصص/ ١٥، هذه مُشاحنة بين الرجل القِبْطي وسيدنا موسى عليه والسلام، الشيطان دخل بينهما؛ فلذلك على الإنسان أنْ يُعينَ أخاهُ على الشيطان، لا أنْ يُعين الشيطان على أخيه، فإذا غضِبَ أخوك فاسْكُت، فإذا رَدَدْتَ عليه بِكَلِمَة قاسِيَة أعَنْتَ الشيطان عليه، فإذا سَكَتَّ أعَنْتَهُ على الشيطان. رَجُلٌ تلفَّظَ بِكَلماتٍ قاسِيَة بِحَقِّ صحابيٍّ جليل، لم يفعل هذا الصحابي شيئًا إلا أنْ قال: غفر الله لك إنْ كُنتَ مُخْطِئًا، وغفر الله لي إنْ كنتُ مُخْطِئًا. علاقتك مع زوْجَتِك، ومع أوْلادك، وجيرانك، وأصْحابك، وزُملائِك، أعِنْهُم على الشيطان، ولا تُعِن الشيطان عليهم، إذا اسْتَفْزَزْتَهُم، وقَسَوْتَ معهم، وأخَذْتَ حقَّهُم فقد أعَنْتَ الشيطان عليهم، أما إذا تسامَحْتَ معهم وأحْسَنْتَ إليهم فقد أعَنْتَهم على الشيطان.

ثمَّ قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾

النفاثات: هي النفوس الساحِرَة، والسِّحْرُ أصْلُهُ التمْويه بالحِيَل والتَخييل، كالسراب تراهُ ماءً، وهو في الحقيقة انْعِكاسٌ شُعاعي على

الأرض، سَحَرْتُ الصبِيّ أيْ خَدَعْتُهُ، وأصْلُهُ الخفاءُ والصَّرْف، فإذا صَرَفْتَ إنْسانًا عن شيءٍ فقد سَحَرْتَهُ، وأصْلُهُ الاسْتِمالة، قالوا: محمدٌ صلى الله عليه وسلم سحر أصْحابه، أي: مالوا إليه، والسِّحْرُ أنْ تُؤخَذَ بِلُطْفٍ، والسِّحْرُ عند بعض المذاهب الإسلاميَّة خِداعٌ لا أصْل له، وعند الشافِعي رضي الله عنه وَسْوَسَةٌ وأمْراض، وعند الأحْناف حقٌّ، وله حقيقة، ولكن هناك أشْياءٌ حتى الآن طبيعتها بَقِيَتْ مجْهولة، دَرَسْنا شيئًا في عِلْمِ النفْس اسمه (التخاطُر)، امْرأةٌ في إيطاليا - وهي في مطْبَخِها - رأَت ابنها وهو في باريس، قد دهَسَتْهُ سيارة فصرَخَت، رأتْهُ بِأُمِّ عَيْنَيها، بعد أيامٍ ثلاثة جاء جُثْمان ابنها إلى البيت، مع تقْريرٍ يؤكِّدُ الدقيقة التي رأتْهُ فيها يُدْهَس، سماها عُلماءُ النفْس (التخاطر النفسي)، وهذا قائِدُ جيْشٍ في العِراق قال: أسْمَعُ صوتَ أمير المؤمنين يُحَذِّرُني، الجبلَ الجبلَ، هذه وَقَعَتْ.. كيف؟ لا نعْرف، العِلْمُ عاجِزٌ عن تفْسير هذه الخاطِرة التي سماها العُلماء (التخاطر النفْسي)؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء/ ٨٥.

(التخاطر) معْلومٌ ومجْهول، هو حدثٌ وَقَعَ، ولكنَّ تفْسيرهُ مجْهول، كذلك السِّحْر، فالأحْناف قالوا: هو شيءٌ حقيقي، ولكنَّ طبيعته مجْهولة، والإمام الشافِعي قال: هذه وساوِسٌ وأمْراض، وبعض الفرق الإسلاميَّة قالوا: وهْمٌ لا أصْل له، لكنَّ النبي الكريم اسْتعاذ بالله من هؤلاء الذين يسْحَرون، هناك من السِّحْر ما يُكَفِّرُ صاحِبَه، ومن فعل السِّحْر لِيَصْرِفَ الناس إليه فهذا كُفْرٌ، وبعضُ المذاهب الإسلامِيَّة أباحَتْ دمَ هذا الساحِر؛ لأنَّهُ يُضَلِّلُ الناس ويصْرِفُهم عن الحقيقة الكُبرى إلى نفْسه.

ولا يستطيع الساحر أن يضر أحداً إلا بإذن الله (بقضائه وقدره) كما أنه لا يستطيع أن ينفذ بسحره إلى إنسان إلا إذا كان هذا الإنسان غافلاً عن الله سبحانه وتعالى.

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾، العُقَد هي هذه العُقَد المتينة، العلاقة الزوْجِيَّة عُقْدة، وعلاقة الأخوة عُقْدة، وعلاقة الشَّريكَيْن عُقْدة، وعلاقة الأُبُوَّة عُقْدة، وعلاقة الجِوار عُقْدة.

سألت السيّدة عائِشَة رضي الله عنها النبيَّ عليه الصلاة والسلام مرَّةً: كيفَ حُبُّكَ لي؟ قال: «كَعُقْدة الحبل»، فكانت تقول له من حينٍ لآخر: كيف العُقْدَةُ؟؟ فيقول لها: «على حالِها»، فهذه العلاقات الإنسانِيَّة المتينة يأتي الساحر فَيَفْصِمُ بينها، ويَحُلُّها، ويجْعَلُها واهِيَة، فالخِلافُ الزوْجي مثلًا يقع بِسَبَبِ زوْجَيْنِ غافِلَيْن عن الله عز وجل، ويأتي السِّحْر فَيَقْطَعُ هذه الصِّلَة.

الآية الأخيرة هي قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾

قال العلماء: الحسدُ مذْمومٌ ومحْمود! هو مذْمومٌ إذا تمنَّيْتَ زوال النِّعْمة عن أخيك المُسلم، وأنْ تتحَوَّل إليك، هذا هو الحسد المذموم. ثم إنّ الحاسِد أبْغَضَ النِّعْمة على غيره، وفي هذا شكّ منه في حِكمة الله سبحانه وتعالى، والحاسِد ساخِطٌ لِقِسْمة الله تعالى، وضادَّ فِعْلَ الله، ولم يسْتَسْلم له، وخَذَلَ أوْلِياءَ الله عليه فَحَسَدَهم، وذَمهُم بدل أنْ يَدْعَمَهُم، والحاسِد أعان الشيطان على أخيه، ولا ينال في المجالس إلا الندامة، ولا ينال عند الملائكة إلا اللعنة، ولا ينال في الخلوة إلا الجَزَع والغَمّ، ولا ينال في الآخرة إلا الحُزْن والاحْتِراق، ولا ينال عند الله إلا بُعْدًا ومَقْتًا، (أي كرهاً).

قال بعضهم: أَوَّلُ ذنْبٍ عُصِيَ الله به في السماء من إبليس هو الحسد؛ قال تعالى:

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ الأعراف/ ١٢.

الحسد اعتراض من الحاسد على الله سبحانه وتعالى بنِعْمَةٍ ظَنَّ أن صاحبَها لا يسْتحِقُّها، هذا شِرْكٌ بالله، وكُفْرٌ به.

وأما الحسد المحْمود فما رواه عَبْدُ اللهَّ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُّ الْكِتَابَ وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُّ مَالًا فَهُو يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ». متفق عليه.

إذا حَسَدْتَ هذين الصنفين فهذا هو الحسد المحْمود، ولكنَّ العلماء سَمَّوْهُ (غِبْطَةً)، وسماهُ الله تعالى «مُنافَسَةً»، كما قال تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ المطففين/ ٢٦، كذلك قال تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ الصافات/ ٦١ ، وفي الأثر عن الفضيل بن عياض: المؤمن يغْبِطُ والمنافق يحْسُد.

قال عليه الصلاة والسلام: «العينُ تُدْخِلُ الرجُلَ القبرَ، والجملَ القدرَ» رواه أبو نُعَيم في الحلية عن جابر.

فالعين حقٌّ، وهي شعاع يصدر بِغِلٍّ من الحقود إلى ذي النِّعمة.

أنت لَن تتأثَّر بالسِّحْر، ولا بالحَسَد المذموم إلا إذا كنت غافِلًا عن الله تعالى، فإذا تَلَوْتَ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ فلن يصل إليك شِرِّير، ولا شيطانٌ يستطيع أنْ يدخل في صدْرك، ولا ساحِرٌ أنْ يؤثِّر فيك، ولا حاسِد يمكنه أنْ يحْسُدك.

أوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ الله به -في الأرض- أنَّ قابيل حسد هابيل، فَنَعوذ بالله من الحسد، ونسْأله المنافَسَة والغِبْطة في الطاعة، والاسْتِقامة وحِفْظ كتاب الله، فهذا هو المطْلوب.

والحمد لله رب العالمين.

الفصل الرابع

سورة الناس

سورة الناس

وهي سورة «مكيَّة»، نزلت قبل هجرة النبي عليه الصلاة والسلام على الراجح من أقوال المفسرين، وهي ست آيات، وترتيبها السورة رقم (١١٤) الرابعة عشرة بعد المائة، وهي آخر سُوَر القرآن، وتقع في الجزء الثلاثين في المصحف الشريف.

هذه السورة هي إحدى المعوذتين، الأولى «الفلق» وهذه السورة «الناس»، وهي تُستعمل أيضًا في الرقية الشرعية من شرور الوسوسة التي قد يُلقيها الشيطان وأعوانه أو شِرارُ الناس في قلوب الناس فيَضِلُّون ويُضِلُّون عن سبيل الله.

سبب نزولها:

قيل إنه كَانَ غُلَامٌ مِنَ الْيَهُودِ يَخْدُمُ رسول الله ﷺ فأتت إِلَيْهِ الْيَهُودُ، وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَخَذَ مُشَاطَةَ رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَعِدَّةَ أَسْنَانٍ مِنْ مُشْطِهِ، فَأَعْطَاهَا الْيَهُودَ فَسَحَرُوهُ فِيهَا، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى ذَلِكَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ، ثُمَّ دَسَّهَا فِي بِئْرٍ لِبَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهَا ذَرْوَانُ، فَمَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا يَدْرِي مَا عَرَاهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: طُبَّ، قَالَ: وَمَا الطُّبُّ؟ قَالَ: سِحْرٌ، قَالَ: وَمَنْ سَحَرَهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ، قَالَ: وَبِمَ طَبَّهُ؟ قَالَ: بِمُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي جُفِّ ـ وهو غشاء ـ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ، فَانْتَبَهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَمَا شَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَخْبَرَنِي بِدَائِي»، ثُمَّ بَعَثَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَعَمَّارَ ابْنَ يَاسِرٍ فَنَزَحُوا مَاءَ تِلْكَ الْبِئْرِ، ثُمَّ رَفَعُوا الصَّخْرَةَ وَأَخْرَجُوا الْجُفَّ،

فَإِذَا فِيهِ مُشَاطَةُ رَأْسِهِ وَأَسْنَانُ مُشْطِهِ، وَإِذَا فِيهِ وَتَرٌ مَعْقُودٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً مَغْرُوزَةً بِالْإِبَرِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى الْمُعَوِّذَتَيْنِ على رَسُولُ اللهَّ ﷺ فَجَعَلَ كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَوَجَدَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ خِفَّةً حَتَّى انْحَلَّتِ الْعُقْدَةُ الْأَخِيرَةُ، فقام كأنما نشط مِنْ عِقَالٍ، وَجَعَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «بِسْمِ اللهَّ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ وَمِنْ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ، اللهُّ يَشْفِيكَ»، فَقَالُوا: يَا رسول الله أو لا نأخذ الْخَبِيثَ فَنَقْتُلُهُ؟ فَقَالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللهُّ وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا». فَهَذَا مِنْ حِلْمِ رَسُولِ اللهَّ.

رواه البيهقي عن ابن عباس.

تسميتها:

هذه السورة «الفلق» و «الناس» نزلتا معاً كما في الدلائل للبيهقي، فلذا قرنتا واشتركتا في التسمية «بالمعوذتين» وقيل أنها سميت «بالناس» لتكرار كلمة الناس في آياتها خمس مرات وفي هذا التكرار مزيد من البيان والإظهار والتنويه بشرف الناس.

فضلها:

- عن معاذ بن عبد الله بن خبيب بن أبيه قال: خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلي لنا، قال: فأدركتُه، فقال: ﴿ قُلْ ﴾، فلم أقل شيئًا، ثم قال: ﴿ قُلْ ﴾، فلم أقل شيئًا، قال: ﴿ قُلْ ﴾، فقلت: ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء» رواه الترمذي.

- عن عقبة بن عامر قال: اتبعت رسول الله ﷺ وهو راكب، فوضعت يدي على قدمه فقلت: أقرئني يا رسول الله سورة هود وسورة

يوسف، فقال: «لن تقرأ شيئًا أبلغَ عند الله من قل أعوذ برب الفلق و قل أعوذ برب الناس» رواه النسائي.

- عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان إذا اشتكى (مرِض) يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتدَّ وَجَعُهُ كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاءَ بركتها. رواه البخاري.

- وقد طلب النبي ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم قراءتها عَقِبَ كلِّ صلاة، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين دُبُرَ كلِّ صلاة». رواه الترمذي.

محور السورة:

يدور محور مواضيع السورة حول الاستجارة والاحتماء بربّ الأرباب (لدفع الشر وطلب الخير من الله سبحانه) من شرّ أعدى الأعداء (إبليس وأعوانه من شياطين الإنس والجن)، الذين يغوون الناس بأنواع الوسوسة.

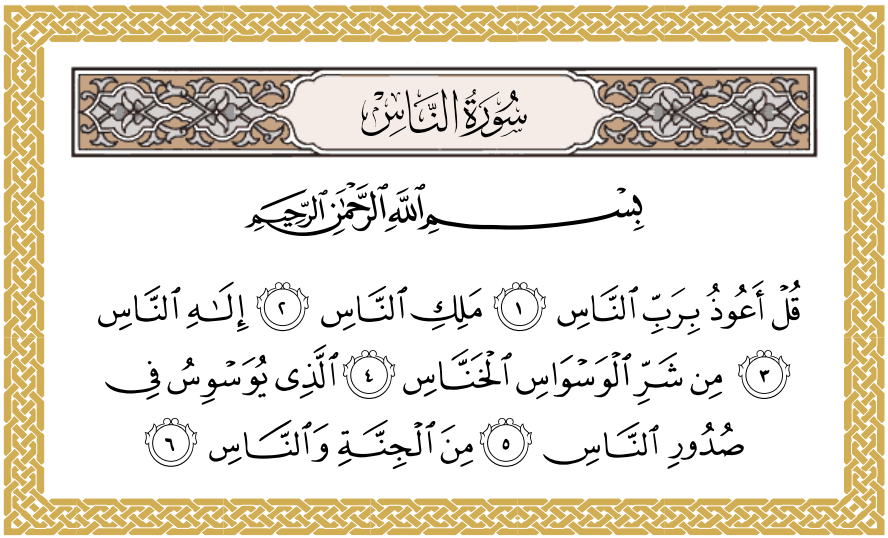

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ
﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى
صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

معاني الكلمات:

١ – قُلْ: أي: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم.

١ – أَعُوذُ: أتَحصَّن وأستجير وأستغيث.

١ – بِرَبِّ ٱلنَّاسِ : أي: خالق الناس ومُدَبّر أمورهم.

٢ – مَلِكِ ٱلنَّاسِ : سيد الناس ومالكهم وحاكمهم.

٣ – إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ : معبود الناس بحقٍّ؛ إذ لا معبودَ بحقٍّ سواه.

٤ – ٱلْوَسْوَاسِ : الشيطان، وسمي بالوسواس لأنه صاحبُ ومَصْدرُ الوسوسة.

٤ – ٱلْخَنَّاسِ : الذي يَخْنُس ويختفي عند ذكر الله تعالى.

٥ – ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ: من (الوسوسة)، وهي حديث النفس الذي يتكرَّر.

٥ – فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ : في قلوبهم (وعقولهم) إذا غفلوا عن ذكر الله.

٦ – ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ : من شياطين الجن وشياطين الإنس.

من هداية الآيات

الآية: ١- وجوب التعوُّذ بالله تعالى من شياطين الإنس والجن.

الآية: ١- لفظ الاستعاذة هو (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)؛ اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ: أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». رواه مسلم.

الآية: ١-٢-٣ تقرير ربوبية الله تعالى (الذي يُدبِّر أمورَ عبادِهِ)، وتقرير مُلْكِه، تقرير أُلوهِيَّتِه فلا يُعْبَدُ ـ بحقٍّ ـ سواه عزَّ وجل.

الآية: ٤-٥-٦ إثبات حصول الوسوسة (الهمس الخفيُّ والشك الشرير) في صدور (وعقول) الناس، والمُوسوِسون هم:

(أ) الشيطان من الجن، الذي يُلقِي في القلب المَخاوِفَ والظُّنونَ السيئة، ويُزَيِّن القُبْحَ، ويُقَبِّحُ الحَسن؛ وذلك إذا غفل المرءُ عن ذكر الله عز وجل.

(ب) الناس الذين يُزيِّنون الشرَّ كما يفعل الشيطان تمامًا بإثارة الشكِّ والهواجس والكلمات الفاسدة والعبارات المُضَلِّلة، بل إن ضررَ الإنسان على الإنسان أكثرُ من ضرر الشيطان عليه؛ إذ الشيطانُ يُطْرَدُ ويخنُس بالاستعاذة بالله، وأما شيطان الإنس فهو يظل مُلازِمًا.

(ج) حديث النفس الخالي من القول والعمل، فهذا معفوٌّ عنه إن شاء الله، ولا يُؤاخَذُ العبدُ به؛ لقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ». رواه البخاري ومسلم.

الآية: ٤-٦ تقرير أن هناك مخلوقات في الكون غير المخلوقات التي نراها (من الإنسان والحيوان والنبات والجماد)، وهم الجن (الذين لا نراهم)، وأن وجودهم في الكون حقيقة.

ملاحظة:

الجِنَّـةُ والنـاس فيهم صالحون وفيهم قاسـطون (ظالمـون)، وبالتالي فإن الاسـتعاذة تكون من الظالمـين والأشرار من الناس وكذلك الجن، أما الشـيطان فَشَرٌّ كلُّه؛ فلذلك جاءت الآية بالاستعاذة منه بقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم». والله أعلم.

التفسير الموضوعي لسورة الناس[1]

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ (الناس)، الاستعاذة في هذه السورة من شياطين الإنس والجن، وما يُلْقُونَه في الصدور من وساوس. ونحن لا ندري كيف يتصرف الجن، ولكننا نشعر بما يطلبون مِنَّا برغبتنا فيه؛ ولذلك نلجأ إلى الربِّ المَلِك الإله كي يحفظنا. فتكرير صفات الله اعترافٌ بالفاقة (الفقر والحاجة)، ولُجُوءٌ إلى القدير!.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ (الناس)، الخنَّاس: الذي يختفي ليؤذي، وينتهز الفرصة للوثوب. والمُوسوِس خبيث ماكر فينبغي الحذر منه. ويقول الله في موضع آخر: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢﴾ الأنعام/ ١١٢.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ (الناس)، ويبدو أنَّ شهوة الإنسيِّ هي لَذَّتُه في الفعل، وشهوة الجنيِّ هي رغبته في الإغواء كما ورث عن إبليس. وهكذا يستمتع بعضهم ببعض. على أن الشياطين محرومة من كل سلطة تنفيذية؛ إنها لا تملك إلا الإغواء والمخادعة، فمن استجاب لها لا عذر له، لا سِيَّما بعد تحذيره وتنبيهه.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ (الناس)، وكذلك هناك من يوسوس من الناس أيضًا ويضرُّ الناس، وهذه السورة تتحدث عن خطر الهواجس

---

١ – من كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي – رحمه الله.

النفسـية، وعـن ضرورة النجاة منها. والمؤمن الذاكرُ لربِّـه المُثابِرُ على حقه يعيش داخل سُـورٍ يحميه من النفسِ وهواجسِـها والشـيطانِ ووساوسِـه والناسِ ومَكْرِهم وغِوايتهم وأذاهم.

من خواطر الدكتور محمد راتب النابلسي
في تفسير سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ (الناس).

الـربّ هو القادر، الخالـق، البارئ، المصور، الحـيّ، القيوم، العليم، السميع، البصير، المُحسـن، المُنعم، الجواد، المُعطي، المانع، الضّار، النافع، المقدّم، المؤخّر، الذي يضلّ من يشـاء، ويهدي من يشاء، ويسعد من يشاء، ويشـقي من يشاء، ويعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى.

والـربُّ: هـو المُربِّي، وهـو المُمِدُّ، يُمِـدُّ المُرَبَّى بكلِّ حاجاتـه، ويُربِّيه وينقله من حال إلى حال، أقرب اسـمٍ من أسـماء الله الحسـنى إلى الإنسان هـو (رب العالمين)، هو الذي يربِّي جسـمَك، ويربِّي نفسَـك، ويُعِدُّك لِجنَّةٍ عرضُها السماوات والأرض.

والمـربِّي عنده مكافـآت، وعنده عقوبـات؛ لأنه مـربٍّ، فمثلًا هناك ثلاثة أولاد في الطريق يدخِّنون، مَرَّ والدُ أحدِهم، فشاهد ابنَه، والثاني ابنُ أخيه، والثالث غريب لا يعرفه، لعلَّه يؤدِّب ابنَه أشـدَّ التأديب، ويتألَّم أشدَّ الألم، ويصُبُّ عليـه جَامَ غَضبِهِ، أما ابنُ أخيه فيُعنِّفُـه، وأما الثالثُ فيقول له: اذهب، ولا يتكلم معه، هذا التصرُّفُ هو من التربية. كلُّ ما يَسُوقُه اللهُ لعباده ممَا يكرهونه هو من باب التربية، أشرك الإنسـانُ فيُربِّيه، اِعْتَدَّ بنفسه فيربِّيـه، اتَّجه لغير الله فيربِّيه، أكل مـالًا حرامًا فيربِّيه، نظر إلى مَن لا تَحِلُّ له فيربِّيه؛ الله عز وجل مُرَبٍّ. ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٤٧﴾ الأنعام/ ١٤٧.

مثالٌ: ابنٌ مريضٌ مرضًا عُضالًا، الأب عرَف المرضَ، ولكنْ خاف على الأمِّ أنْ تنهار أعصابُها، لم يبلِّغها بالمرض، ولكن قال لها: إياك أن تطعميه هذا الطعام، وفي غَيبة الأب رجاها ابنُها أن يأكل هذا الطعام، فسمحت له، الذي سمح جاهل، والذي منع عالم، لو أنَّ الأبَ أطلعها على مرض ابنها لمنعت عنه هذا الطعام ولو فعل ما فعل.

عندما تَعلمُ حكمةَ المنع تقف موقفًا شديدًا، أما حينما لا تعلم فإنك تتساهل. ربُّنا عز وجل رحيمٌ وعليمٌ، الإنسان الرحيم أحيانًا يعطيك شيئًا يضرُّك، ويعطيك رحمةً مع جهل، هذه الأمُّ تمثِّل الرحمةَ مع الجهل، أما لو فرضْنا أنَّ والدَ الابنِ المريضِ طبيبٌ، الأب يمثل الرحمة مع العلم، فربُّنا رحيم وعليم، ولله المثل الأعلى؛ لذلك يسوق من الشدائد لكل إنسان أشرك، أو انحرف، أو زَلَّتْ قَدمُه، أو ارتكب ما هو منهي، أو اعتدَّ بنفسه، أو تكبَّر، يسوق له علاجًا يُعيده إلى حجمه الصحيح، إلى عُبوديَّته، هذا معنى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، أي: ألتجِئ إلى رب العباد ليُعينَني، ولا أطلب من الناس والمربِّين؛ لأنَّ المربِّي لا يملك، أما ربُّنا عز وجل فهو ربُّ ومالكُ كلِّ شيءٍ.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ (الناس).

وأما المَلك فهو الآمر، الناهي، المعزّ، المذلّ، الذي يصرّف أمور عباده كما يحبّ، ويقلّبهم كما يشاء، وله من معنى الملك ما يستحقه من الأسماء الحسنى، كالعزيز، الجبّار، المتكبّر، الحكم، العدل، الخافض، الرافع، المعزّ، المذلّ، العظيم، الجليل، الكبير، الحسيب، المجيد، الوالي، المتعالي، مالك الملك، المقسط، الجامع، إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك.

أنت تربِّي هذا الابنَ وتملِك ناصيَتَهُ، أما الشمسُ فليستْ في يدِك، القمرُ ليس في يدك، صار فيضانٌ في الصين، ربَّما يصير ثلث مساحة الصين مغمورًا بالمياه، كلُّ شيء فسد، لو فرضنا أنَّ في الصين مربينَ لكنَّ أمرَ الإمطارِ ليس في يَدِهم، أمَّا ربُّنا عز وجل فهو المُسَيِّرُ لكل ما في الكون، كلُّ ما في الكون يملكه. أنت تملك بيتًا صدر قرارٌ باستملاكِه، فَقَدْتَ البيت، أنت مالكٌ، ولكنْ لا تملك مصيرَ البيت. إنسانٌ استأجر بيتًا، يملك المنفعة ولا يملك الرقبة ـ أي أصل الشيء ـ يصدر قرار استئجار جديد فيخرجونك من البيت. مِن الناس مَنْ يملك الرقبة (عين المملوك) ولا يملك المنفعة، ومنهم من يملك المنفعة ولا يملك الرقبة، ومنهم من يملك المنفعة والرقبة لكن لا يملك المصير، أما ملكية الله عز وجل فهي مطلقة؛ يملك خَلقًا وتصرُّفًا ومصيرًا.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ (الناس).

وأما الإله فهو المسيّر، وهو الجامع لجميع صفات الكمال (العلم، والقدرة، والرحمة، والحكمة) ونعوت الجلال (الهيبة والوقار المنزّه عن كل نقص)، وهو المعبود بحقّ وحبّ، فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ (الناس).

حركة المَجَرَّاتِ بيد الله عز وجل، هذا الرب وهذا المالك وهذا الإله اسْتَعِذْ به من أخطر مرض، من شر الوسواس. كلُّ إنسانٍ له ملاك وشيطان، الملاك يلهمه الصوابَ والشيطانُ يُلهمُه الفسادَ، والإنسانُ مُخيَّرٌ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ الحجر/ ٤٢. ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ

وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ إبراهيم / ٢٢.

بمجرَّد أنْ تستعيذَ بالله يخنُس ويختفي (يتوارى ويغيب)، قلْ (الله) يهرب الشيطان، لا تملك إلا أن تستعيذ بالله فيخنس الشيطان؛ لأن الشرَّ أساسُه فكرة، أساسُه وسوسةٌ، الذين ارتكبوا الجرائمَ بدايةُ جرائمهم وسوسةُ شيطان.

أكثر الجماقات أساسُها وسواس خناس، رجل طلَّقَ زوجته وعنده خمسة أولاد لسبب تافهٍ، وسواس خناس. خلافٌ بسيط بين شريكين قال أحدهما لصاحبه: افسخ الشركة، هذا هو الوسواس، يفسد العلاقات التجارية والعلاقات الأسرية. أقارب متخاصمون ثلاثين سنة يحارب بعضُهم بعضًا، وسواس خناس، والأولاد يحملون عداواتِ الآباء، أُسَرٌ مُفَكَّكَة، الجرائم، الحماقات، الآثام، كل شيء من الشر يُرْتَكَبُ بسبب هذا الخناس، الشيطان جاهز.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ (الناس).

إذا قال لك صديق لا تُصَلِّ الآن، ماذا تفيدك الصلاة؟ هذا شيطان، ولكنه إنسيٌّ، يوجد شيطانٌ إنسيٌّ وشيطان جِنِّيٌّ، يوجد مليون مشكلة يسبِّبها الوسواس الخناس، أحيانًا تزوير، أحيانًا غش أحياناً كذب، ... إلخ.

مِن أيِّ شيءٍ نستعيذ بالله؟ من شرِّ وسوسةٍ شرِّيرةٍ وراءَها جريمةٌ، وراءَها البُعْدُ عن الله، وراءَها الزنا، وراءها أكلُ المال الحرام، وراءها

الانحراف، وراءها استخدامُ أجهزةٍ مُفسِدةٍ في البيت، وراءها التفرِقة بين الأُسَر، وراءها الغش في التجارة... إلخ.

الإنسان إما مع الشيطان وإما مع الرحمن، إما أن يكون ربانيًّا، وإما شيطانيًّا، فالمؤمن يستعيذ بالله ويستعيذ برب الناس وبإله الناس وملك الناس من شر الوسواس الخناس.

الوسواس خطير جدًّا، الوسواس يطعم مالًا حرامًا، يدفع إلى معصية كبيرة، يدفع إلى فراقٍ زوجي، إلى فكِّ شراكة، كلُّ حماقاتِ الناس أساسُها الوسواسُ، إلَّا أنَّ هذا الوسواسَ خنَّاسٌ؛ إذا قلت: أعوذ بالله خنس.

إن اسم «الله» تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العُلى، فقد تضمنت هذه الأسماء الثلاثة (الربّ، الملك، الإله) على جميع قواعد الإيمان، وتضمنت جميع معاني أسمائه الحسنى، فكان المُستعيذ بها جديراً بأن يُعاذ، ويُحفظ بدفع الشرّ عنه، ويُمنع من الوسواس الخنّاس، ولا يسلط عليه، وأسرار كلام الله أجلّ وأعظم من أن تدركها عقول البشر، وإنما غاية أولي العلم الاستدلال بما ظهر منها على ما وراءه، وإن باديه إلى الخافي يسير، والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة:

إن إنزال القرآن الكريم على هذه الأمة مِنَّة عظمى؛ لأنه سبيل الهداية التي تؤدي إلى الجنة، وطريق السلامة من الضلالة والغواية، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ طه/ ١٢٣-١٢٤.

وقال في آيات أخرى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾ الكهف/ ١.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ البقرة/ ١٨٥.

إن الإيمان بالله تعالى وتحقيق معنى شهادة «أن لا إله إلا الله»، أي التوحيد الذي هو حقيقة دين الإسلام، وهو العلم بالله واحداً أحداً لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته..

ومن لم يعرف الله كذلك أو لم يصفه بأنه واحد لا شريك له، فإنه غير موحّد لله سبحانه.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ المائدة/ ٧٣.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ آل عمران/ ١٩.

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ آل عمران/ ٨٥.

ولتأكيد الإيمان والتوحيد في النفوس، يجب التفكير والتدبر بآيات الله سبحانه، وخصوصاً السور الدالة على وحدانية الله خالقًا وإلهًا وربًا واحداً لا شريك له والتبرؤ من الشرك وأديان الكفار، ومن أهم السور التي تؤكد على ذلك هي سورتا الإخلاص:

١- سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾

٢- سورة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾

فينبغي الإكثار من قراءتها في جميع الأوقات وفي الصلوات لأنها تضمنتا أهم الأركان التي قامت عليها رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم رسالة الإسلام، وهي توحيد الله عز وجل وتنزيهه عن الشريك والولد، مع تقرير الحدود العامة للاعتقاد .. ولتثبيت الإيمان.

قال تعالى:

﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ الأنفال/ ٢.

وقال سبحانه في آيات أخرى:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ الإسراء/ ٨٢.

فالقرآن شفاء من الجهل بالله تعالى وبأسمائه وصفاته، وشفاء من الجهل بالنبوات وبالحياة الدنيا والمعاد في الآخرة؛ ولذلك فهو أعظم شفاء للقلوب من الشك والارتياب والجحود والإنكار.

ومن أنواع هجر القرآن: هجر الاستشفاء به من جميع أمراض القلوب، والرقية بالقرآن فيها أعظم الشفاء من الحسد والعين والسحر ومسِّ الجن، ومن سائر علل الأبدان..

ومن سور التحصين والاستشفاء في القرآن الكريم، سورتا «الفلق» و «الناس» ـ المعوذات ـ واللتان لهما تأثيرٌ خاصٌّ في حفظ النفوس ودرء الشرور، وحاجة العبد إلى الاستعاذة بالله في هاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس.

وكان الرسول ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ثلاثاً، وكان ينفث بيديه الشريفتين ويقرؤهما، ومن ثم يمسح على سائر جسمه.

ومواطن قراءة المعوذات مع سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾:

١- بعد الصلاة المفروضة «مرة واحدة» (دون نفث)، وبعد الفجر والمغرب «ثلاث مرات».

٢- في أذكار الصباح والمساء «ثلاث مرات» (دون نفث).

٣- قبل النوم «ثلاث مرات» (مع النفث)، مع المسح على ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه.

٤- في الرقيـة «ثـلاث مرات» (مـع النفث)، والمسـح عـلى الرأس والجسم والوجه.

٥- في التحصـين للنفـس والأولاد «ثـلاث مرات» (مـع النفث)، والمسح على الرأس والجسم.

ومما ينبغي أن نعلم أن نفع القراءة - لهذه السور وغيرها - من القرآن الكريم يختلف باختلاف حال القارئ لتلك السـور، فالقراءة بتدبر أفضل من القراءة بلا تدبر، فالنفع لمن قرأها وأقام في نفسه الإخلاص والخشوع، أي لمن أقام في قلبه موجبات الأجر..، والله أعلم.

المراجع

١- معـاني الكلـمات والعديـد من هدايـة الآيات من كتـاب «أيسر التفاسير لكلام العلي القدير» للشيخ أبو بكر الجزائري - رحمه الله.

٢- من كتاب «التفسـير الموضوعي لسـور القرآن الكريم» للشـيخ محمد الغزالي - رحمه الله.

٣- الشروحات التفصيلية للسـور من محاضرات وخواطر الدكتور محمد راتب النابلسي - حفظه الله.

الفهرس

إهداء ٥

المقدمة ٧

- الفصل الأول -

- **سورة الكافرون** ١٥

سبب نزولها ١٧

تسميتها ١٧

فضلها ١٨

محور السورة ١٨

معاني الكلمات ٢٠

من هداية الآيات ٢١

التفسيرة الموضوعي لسورة الكافرون ٢٢

خواطر الدكتور محمد راتب النابلسي حول سورة الكافرون ٢٤

- الفصل الثاني -

- **سورة الإخلاص** ٣٧

سبب نزولها ٣٩

أسماؤها ٣٩

فضلها..... ٤٠
محور السورة..... ٤٢
معاني الكلمات..... ٤٤
من هداية الآيات..... ٤٥
التفسير الموضوعي لسورة الإخلاص ٤٦
من خواطر الدكتور محمد راتب النابلسي في تفسير سورة الإخلاص ٤٩

- الفصل الثالث -

- **سورة الفلق**..... ٩٥
سبب نزولها ٦١
تسميتها ٦٢
فضلها..... ٦٣
محور السورة..... ٦٣
معاني الكلمات..... ٦٤
من هداية الآيات..... ٦٥
ملاحظة لطيفة ٦٦
التفسير الموضوعي لسورة الفلق..... ٦٧
من خواطر الدكتور محمد راتب النابلسي في تفسير سورة الفلق ٦٩

- الفصل الرابع -

- **سورة الناس** ٨٧

سبب نزولها ٨٩

تسميها ٩٠

فضلها ٩٠

محور السورة ٩١

معاني الكلمات ٩٢

من هداية الآيات ٩٣

التفسير الموضوعي لسورة الناس ٩٥

من خواطر الدكتور محمد راتب النابلسي في تفسير سورة الناس ٩٧

الخاتمة ١٠٣

المراجع ١٠٧

الفهرس ١٠٩